اللجوء السياسي وتأثيره في العلاقات الدبلوماسية في الألف الأول ق.م في النصف الشرقي لحوض البحر المتوسط

د. محمود عبد المنعم الجزار
كلية الآداب . جامعة الجفرة . ليبيا
mahmoud_elgazzar@outlook.com

أ. إبراهيم مفتاح شيره
كلية التربية . جامعة مصراته . ليبيا
ibrahemsherashera789@gmail.com

الملخص:

جاءت ظاهرة اللجوء السياسي في الألف الأول قبل الميلاد لحوض البحر المتوسط نتيجة لنشوء العديد من الحضارات المتباينة على سواحله آنذاك في الفكر، والقوة السياسية والاقتصادية، علاوة على أفول نجم حضارة وبروز أخرى فكانت سواحل المتوسط مسرحاً لتلك العمليات السياسية.

وشهد الألف الأول قبل الميلاد ازدياد حالات اللجوء السياسي لعدد من أمراء بعض الدول، والقادة العسكريين الذين أجبرتهم الأوضاع السياسية على الفرار من بلدانهم واللجوء في أغلب الأحيان إلى مصر، ومنها لجوء "الأمير هَدَدَ الأَدُومِيَّ" إلى مصر باحثاً عن الحماية والأمان عقب اجتياح نبي الله "داوود" لمدينة آدوم، وبالمثل لجوء "يَرُبْعَامُ بْنُ نَبَاطَ" إلى مصر بعد انشقاقه عن نبي الله سليمان. وكيف استفادت مصر من هذا الوضع السياسي زمن الفرعون شيشنق من الأسرة الحادية والعشرين، وكذلك أيضاً لجوء "حانو" حاكم ولاية غزة إلى مصر فاراً من التوسع الأشوري في المنطقة وأخيراً فرار "إيماني" حاكم أشدود من الملك الأشوري سرجون الثاني لاجئاً إلى مصر. علاوة على حالة لجوء هانيبال أولاً إلى المملكة السلوقية وثانياً إلى مملكة بثينيا.

الكلمات المفتاحية: اللجوء – طلب الحماية – التوراة – النبي سليمان – سلوقيا – بيثينيا – هانيبال.

1. المقدمة

شهدت نهاية الألف الثاني ومطلع الألف الأول قبل الميلاد تغيراً ملحوظاً في ميزان القوى في الشرق الأدنى القديم، فكان للهجوم الكاسح لموجات من عناصر شعوب البحر أنْ أودت بحياة قوى الشرق الأدنى، فنجم عنه تغير في ميزان قوى المنطقة، فبعدما كانت قوى الدول الميتانية،

والبابلية، والخيتية، والمصرية، هي السائدة على ساحة صراعات السياسة الدولية، إذ بها تتبدل بعد أفول نجم دولة ميتاني، وبابل، وخيتا، وانحسار المد التوسعي للدولة المصرية وذلك بعدما نجح رعمسيس الثالث في الحفاظ على الإمبراطورية المصرية في غرب آسيا وعجز خلفائه في الاحتفاظ بها[1]، وتُعد رحلة "ون آمون" خير دليل على اضمحلال النفوذ المصري في فينيقيا ذات العمق الاستراتيجي للدولة المصرية. ومع مطلع الأسرة الحادية والعشرين المصرية كان الإقليم السوري الكبير (سوريا، ولبنان، والأردن، وفلسطين) قد انقسم إلى إمارات صغيرة، وتشير أوضاع الإقليم السوري في هذه الآونة إلى مولد وبزوغ قوى جديدة كان لها الأثر القوي على مجريات الأحداث، فبزغ نجم دولة بني إسرائيل في عهدي داوود وسليمان عليهما السلام يسطع في فلسطين على حساب الولايات الفلسطينية الأخرى،كما أنّ بزوغ نجم الدولة الآشورية وسيطرتها على أغلب الجزء الشرقي دفعها إلى بدء التدخل في مجريات الأحداث بمنطقة الإقليم السوري، بل والتقدم حتى الدولة المصرية في نهاية الأسرة الخامسة والعشرين[2].

وكذلك الإغريق أصحاب الحضارة العريقة في بلاد اليونان، والذين أسسوا النظم الديمقراطية في العالم القديم، حيث شهدت نهاية القرن الخامس ق.م صراع بين القوى اليونانية من أجل الزعامة بين الدويلات، ومنهم ظهرت القوة المقدونية عام 360 ق.م على يد فيليب الثاني الذي نجح ولأول مرة في بلاد اليونان من توحيدها تحت حكم واحد بعد موقعة خايرونيا **Chaeronea** عام 338 ق.م، واستكمل من بعده ابنه الإسكندر الثالث (الأكبر) سياسة المد التوسعي شرقاً حتى حدود الهند القديمة مؤسساً بذلك عصر جديد هو العصر الهللينستي والذي استمر ثلاثة قرون من الزمان[3]. وأيضاً القوة الرومانية التي أصبحت منذ القرن السابع ق.م مدينة مزدهرة، والتي نجحت في عام 272 ق.م في السيطرة على كامل شبه الجزيرة الإيطالية، وتطلعت بعدها إلى سياسة المد التوسعي بالقوة العسكرية واستمرت حروبها لمدة 150 عاماً حتى غدت القوة الوحيدة في البحر المتوسط[4].

2. أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة في ازدياد حالات اللجوء السياسي في منطقة الشرق الأدنى أثناء الألف الأول قبل الميلاد، مما يدل على تسارع الأحداث السياسية في شرق البحر المتوسط، وتغير موازين القوى فيها، وبالمثل تغير الخريطة السياسية لدول الشرق الأدنى آنذاك. وأمام هذه التغيرات

على الساحة الدولية لم تدخر مصر جهداً إلا وبذلته من أجل بقائها على ساحة الأحداث السياسية في الشرق الأدنى، وما من ريب في أنّها وجدت في ظاهرة اللجوء السياسي ورقة علها تكون رابحة لإثبات كيانها على الساحة الدولية آنذاك، وهو ما لم تكن قد استخدمته من قبل أثناء الألف الثاني قبل الميلاد، ولذا بدأت تفتح ذراعيها لاحتواء اللاجئين السياسيين الفارين من مملكة إسرائيل، ومن طغيان الآشوريين في تلك الأثناء. وبالمثل فتحت المملكة السلوقية في القرن الثاني ق.م ذراعيها لأشهر حالة لجوء سياسي في أواخر الألف الأول قبل الميلاد، ولكنها لم تفلح في استغلالها في حينها وبالمثل كانت مملكة بثينيا في آسيا الصغرى. ولعل هذا هو الدافع الرئيس وراء اختيار موضوع هذا البحث.

3. الهدف من الدراسة

تهدف الدراسة إلى إبراز الدور المصري في الألف الأول قبل الميلاد وجهاد حكامها الوطنيين أكثر من الوافدين عليها في إثبات كيان وجودها وسعيها الحثيث للوقوف بجانب كل لاجئ طالب العون منها، وإمدادهم بالدعم اللازم قدر استطاعتها بغية استرداد حقوقهم الشرعية، وكذلك لحُسن استغلال أحداث السياسات الخارجية من أجل السعي لمد توسعي أو وقائي على أقل تقدير في العمق الاستراتيجي للإقليم السوري.

4. منهجية البحث

اتبع الباحثان المنهج الموضوعي المنتظم في إطار زمني، وهو منهج العرض، والتحليل للوثائق والنقوش والنصوص التاريخية، واستقراء الأحداث السياسية من واقع ما ورد بها.

5. حدود البحث الزماني والمكاني

تقتصر حدود البحث الزماني على فترة الألف الأول قبل الميلاد، أمّا الحدود المكانية فتشمل منطقة الشرق الأدنى القديم شرق البحر المتوسط.

6. إشكالية البحث

تتمثل إشكالية الدراسة حول طبيعة سياسة مصر الخارجية مع دول الشرق الأدنى أثناء الألف الأول قبل الميلاد والتي تميزت بظاهرة المد والجزر، وسعي مصر الدءوب لإثبات كيانها وسط المد التوسعي لدولة بني إسرائيل، والدولة الآشورية، وكذلك تكمن إشكالية الدراسة حول طبيعة سياسة الدولة القرطاجية الخارجية أمام الزحف الاستعماري للدولة الرومانية.

ومن الأهمية بمكان الإشارة في هذا الصدد إلى مشكلة البحث خاصة فيما يرتبط بممالك فلسطين أو على وجه الخصوص دولة بنو إسرائيل، أن المؤسسات العلمية الأجنبية حريصة كل الحرص على الاهتمام بقضايا التاريخ اليهودي، ومحاولة تأصيل بعضها ودعمها أثرياً – بالحق أو بدونه – وذلك فيما يُعرف بدراسات أرض الكتاب المقدس (أو الدراسات التوارتية) **The Biblical Studies**، وإن مثل هذه الدراسات إنما تُلقي على الباحثين المعنيين بالأمر في مضمار الدراسات القديمة مسؤولية تاريخية. وذلك بتوجيه الجهد الآثاري توجيهاً موضوعياً بالتوسع في استكشاف مناطق الاهتمام المشترك وتوظيف العائد منها في ضوء عالمية العلم التي تسمو فوق المنظور العقيدي والقومي بمفهومه الضيق. وبما يؤكد على الدور التاريخي والحضاري لشعوب هذه المنطقة التي كان لمصر وسوريا الكبرى – مع حضارة الرافدين – أهم إسهاماتها قاطبة. ومن الجدير بالملاحظة أيضاً أن تاريخ هذه المنطقة في الفترة الزمنية المعنية بالدراسة يندر فيها المصدر الأثري المباشر ولا يوجد غير مصدر نص الكتاب المقدس، وهو ما دفع العديد من علماء دراسات الشرق الأدنى القديم أمثال **نيقولا كريستوف جريمال Nicolas-Christophe Grimal** و**كينيث أندرسون كيتشن Kenneth Anderson Kitchen** و**آلان ريتشارد شولمان Alan Richard Schulman** و**دونالد بروس ريدفورد Donald Bruce Redford** على سبيل المثال لا الحصر اللجوء في التفسير والتحليل إلى الترجمات المتعددة للكتاب المقدس والاعتماد على القرائن التقريبية لتحديد التواريخ، وهو ما جعل دراسة أحداث هذه المنطقة في الفترة المعنية بالدراسة تأتي في طابع قصصي.

7. حالات اللجوء إلى مصر:

7. 1 لجوء الأمير هَدَدَ الأَدُومِيّ:

يُنسَب الآدوميون إلى عيسو بن اسحق بن إبراهيم ﷺ، ووفقاً لنص التوراة فهو الأخ الأكبر لأخيه التوأم يعقوب[5] إذ ذكرت: «فَلَمَّا كَمُلَتْ أَيَّامُهَا لِتَلِدَ إِذَا فِي بَطْنِهَا تَوْأَمَانِ. فَخَرَجَ ٱلأَوَّلُ أَحْمَرَ، كُلُّهُ كَفَرْوَةِ شَعْرٍ، فَدَعَوْا اسْمَهُ «عِيسُوَ». وَبَعْدَ ذلِكَ خَرَجَ أَخُوهُ وَيَدُهُ قَابِضَةٌ بِعَقِبِ عِيسُو، فَدُعِيَ اسْمُهُ «يَعْقُوبَ». وَكَانَ إِسْحَاقُ ابْنَ سِتِّينَ سَنَةً لَمَّا وَلَدَتْهُمَا»[6]. وأوضحت التوراة أيضاً أن هذين التوأمين كانا فيما بعد أصلين لشعبين متصارعين، نجح شعب الابن الصغير في

القضاء على شعب أخيه الكبير فورد: «وَهذِهِ مَوَالِيدُ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ: وَلَدَ إِبْرَاهِيمُ إِسْحَاقَ. وَكَانَ إِسْحَاقُ ابْنَ أَرْبَعِينَ سَنَةً لَمَّا اتَّخَذَ لِنَفْسِهِ زَوْجَةً، رِفْقَةَ بِنْتَ بَتُوئِيلَ الأَرَامِيِّ، أُخْتَ لاَبَانَ الأَرَامِيِّ مِنْ فَدَّانَ أَرَامَ. وَصَلَّى إِسْحَاقُ إِلَى الرَّبِّ لأَجْلِ امْرَأَتِهِ لأَنَّهَا كَانَتْ عَاقِرًا، فَاسْتَجَابَ لَهُ الرَّبُّ، فَحَبِلَتْ رِفْقَةُ امْرَأَتُهُ. وَتَزَاحَمَ الْوَلَدَانِ فِي بَطْنِهَا، فَقَالَتْ: «إِنْ كَانَ هكَذَا فَلِمَاذَا أَنَا؟» فَمَضَتْ لِتَسْأَلَ الرَّبَّ. فَقَالَ لَهَا الرَّبُّ: «فِي بَطْنِكِ أُمَّتَانِ، وَمِنْ أَحْشَائِكِ يَفْتَرِقُ شَعْبَانِ: شَعْبٌ يَقْوَى عَلَى شَعْبٍ، وَكَبِيرٌ يُسْتَعْبَدُ لِصَغِيرٍ»[7].

وشاءت الأقدار وبمرور السنين وفد إلى مصر لاجئين سياسيين مع بداية العصر المتأخر، كان الأول في عصر الأسرة الحادية والعشرين، أما الثاني ففي عصر الأسرة الثانية والعشرين، وكلاهما قاما بدورهما على الساحة السياسية في مملكة إسرائيل، أما الأول فهو الأمير الأدومي "هَدَدَ" الوافد إلى مصر كلاجئ سياسي يبغي الحماية والأمان عقب اجتياح نبي الله "داود" لمدينة آدوم، إذ كان النبي داود عليه السلام يهدف إلى تكوين دولة كبرى في فلسطين[8]، والواقع أن فلسطين لم تكن بلداً يُشجع على قيام كيانات سياسية كبيرة تاريخياً، ذلك أن المراكز السياسية والثقافية كانت في الأناضول وبلاد النهرين في الشمال وفي الجنوب حيث مصر، أما من الناحية الجغرافية فقد كانت فلسطين حلقة الوصل، وعلى هذا كانت دائماً بؤرة للصراع فيما بين القوى الكبرى في المنطقة، أما مملكة "داود" فهي استثناء عن هذه القاعدة فهي حالة عرضية في تاريخ الشرق الأدنى القديم وتاريخ فلسطين[9]، وغدت إنجازات داود عليه السلام ممكنة بسبب الفراغ في ميزان القوى بالمنطقة آنذاك[10]، حيث استغل النبي داود عليه السلام أوضاع المنطقة وبدأ في تكوين مملكته فتحرك شرقا وجنوباً وشمالاً على حساب جيرانه الفلسطينيين، واجتاح مدن عمون ومؤاب وآدوم[11]، كما انتصر على الولايات الآرامية، ونجح في جمع شمل القبائل العبرانية تحت لوائه[12].

كانت علاقة الدولة المصرية بمملكة داود عليه السلام علاقة عادية في مجملها وفي ظاهرها، ولكنها لم تقف حائلاً أمام لجوء الأمير "هَدَدَ" حاكم إدوم في جنوب فلسطين بعد أن خرَّب نبي الله داود عليه السلام وقائده يعقوب إمارته، وسفك دماء آلاف من رجالها، واستباحها لجيشه ستة شهور[13]، وقد ورد بنص التوراة أن نبي الله داود عليه السلام هزم مدينة آدوم في "وادي الملح" وقتل ملكها فذكرت: «وَبَعْدَ ذلِكَ ضَرَبَ دَاوُدُ الْفِلِسْطِينِيِّينَ وَذَلَّلَهُمْ، وَأَخَذَ دَاوُدُ «زِمَامَ الْقَصَبَةِ» مِنْ يَدِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ.وَضَرَبَ الْمُوآبِيِّينَ وَقَاسَهُمْ بِالْحَبْلِ. أَضْجَعَهُمْ عَلَى الأَرْضِ، فَقَاسَ بِحَبْلَيْنِ لِلْقَتْلِ وَبِحَبْل

لِلاسْتِحْيَاءِ. وَصَارَ الْمُوآبِيُّونَ عَبِيداً لِدَاوُدَ يُقَدِّمُونَ هَدَايَا. وَضَرَبَ دَاوُدُ هَدَدَ عَزَرَ بْنَ رَحُوبَ مَلِكَ صُوبَةَ حِينَ ذَهَبَ لِيَرُدَّ سُلْطَتَهُ عِنْدَ نَهْرِ الْفُرَاتِ. فَأَخَذَ دَاوُدُ مِنْهُ أَلْفاً وَسَبْعَ مِئَةِ فَارِسٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ رَاجِلٍ. وَعَرْقَبَ دَاوُدُ جَمِيعَ خَيْلِ الْمَرْكَبَاتِ وَأَبْقَى مِنْهَا مِئَةَ مَرْكَبَةٍ. فَجَاءَ أَرَامُ دِمَشْقَ لِنَجْدَةِ هَدَدَ عَزَرَ مَلِكِ صُوبَةَ، فَضَرَبَ دَاوُدُ مِنْ أَرَامَ اثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ أَلْفَ رَجُلٍ. وَجَعَلَ دَاوُدُ مُحَافِظِينَ فِي أَرَامِ دِمَشْقَ، وَصَارَ الأَرَامِيُّونَ لِدَاوُدَ عَبِيداً يُقَدِّمُونَ هَدَايَا. وَكَانَ الرَّبُّ يُخَلِّصُ دَاوُدَ حَيْثُمَا تَوَجَّهَ. وَأَخَذَ دَاوُدُ أَتْرَاسَ الذَّهَبِ الَّتِي كَانَتْ عَلَى عَبِيدِ هَدَدَ عَزَرَ وَأَتَى بِهَا إِلَى أُورُشَلِيمَ. وَمِنْ بَاطِحَ وَمِنْ بِيرَوْثَايَ، مَدِينَتَيْ هَدَدَ عَزَرَ، أَخَذَ الْمَلِكُ دَاوُدُ نُحَاساً كَثِيراً جِدّاً. وَسَمِعَ تُوعِي مَلِكُ حَمَاةَ أَنَّ دَاوُدَ قَدْ ضَرَبَ كُلَّ جَيْشِ هَدَدَ عَزَرَ. فَأَرْسَلَ تُوعِي يُورَامَ ابْنَهُ إِلَى الْمَلِكِ دَاوُدَ لِيَسْأَلَ عَنْ سَلاَمَتِهِ وَيُبَارِكَهُ لأَنَّهُ حَارَبَ هَدَدَ عَزَرَ وَضَرَبَهُ، لأَنَّ هَدَدَ عَزَرَ كَانَتْ لَهُ حُرُوبٌ مَعَ تُوعِي. وَكَانَ بِيَدِهِ آنِيَةُ فِضَّةٍ وَآنِيَةُ ذَهَبٍ وَآنِيَةُ نُحَاسٍ. وَهذِهِ أَيْضاً قَدَّسَهَا الْمَلِكُ دَاوُدُ لِلرَّبِّ مَعَ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ الَّذِي قَدَّسَهُ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ أَخْضَعَهُمْ. مِنْ أَرَامَ، وَمِنْ مُوآبَ، وَمِنْ بَنِي عَمُّونَ، وَمِنَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ، وَمِنْ عَمَالِيقَ، وَمِنْ غَنِيمَةِ هَدَدَ عَزَرَ بْنِ رَحُوبَ مَلِكِ صُوبَةَ. وَنَصَبَ دَاوُدُ تَذْكَاراً عِنْدَ رُجُوعِهِ مِنْ ضَرْبِهِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفاً مِنْ أَرَامَ فِي وَادِي الْمِلْحِ. وَجَعَلَ فِي أَدُومَ مُحَافِظِينَ. وَضَعَ مُحَافِظِينَ فِي أَدُومَ كُلِّهَا. وَكَانَ جَمِيعُ الأَدُومِيِّينَ عَبِيداً لِدَاوُدَ. وَكَانَ الرَّبُّ يُخَلِّصُ دَاوُدَ حَيْثُمَا تَوَجَّهَ. وَمَلَكَ دَاوُدُ عَلَى جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ. وَكَانَ دَاوُدُ يُجْرِي قَضَاءً وَعَدْلاً لِكُلِّ شَعْبِهِ»[14].

وعلى أية حال فقد وجد الأمير "هَدَدَ" في مصر العون والملجأ، ولم يستقبله ملكها "مجهول الاسم" فحسب، بل زوَّجهُ من أخت زوجته، وأكرمه حتى عاد إلى إمارته بعد وفاة داود عليه السلام وأصبح من ألد خصوم ولده نبي الله سليمان عليه السلام[15]، وتحدثت التوراة عن الأمير الأدومي "هَدَدَ"وما كان يمثله من خطر ضد النبي سليمان عليه السلام، وكأن ثورته ضد النبي سليمان عليه السلام كانت بمثابة انتقام من الرب، فورد: «وَأَقَامَ الرَّبُّ خَصْمًا لِسُلَيْمَانَ: هَدَدَ الأَدُومِيَّ، كَانَ مِنْ نَسْلِ الْمَلِكِ فِي أَدُومَ. وَحَدَثَ لَمَّا كَانَ دَاوُدُ فِي أَدُومَ، عِنْدَ صُعُودِ يُوآبَ رَئِيسِ الْجَيْشِ لِدَفْنِ الْقَتْلَى، وَضَرَبَ كُلَّ ذَكَرٍ فِي أَدُومَ. لأَنَّ يُوآبَ وَكُلَّ إِسْرَائِيلَ أَقَامُوا هُنَاكَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ حَتَّى أَفْنَوْا كُلَّ ذَكَرٍ فِي أَدُومَ. أَنَّ هَدَدَ هَرَبَ هُوَ وَرِجَالٌ أَدُومِيُّونَ مِنْ عَبِيدِ أَبِيهِ مَعَهُ لِيَأْتُوا مِصْرَ. وَكَانَ هَدَدُ غُلاَمًا صَغِيرًا. وَقَامُوا مِنْ مِدْيَانَ وَأَتَوْا إِلَى فَارَانَ، وَأَخَذُوا مَعَهُمْ رِجَالًا مِنْ فَارَانَ وَأَتَوْا إِلَى مِصْرَ، إِلَى فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ، فَأَعْطَاهُ بَيْتًا وَعَيَّنَ لَهُ طَعَامًا وَأَعْطَاهُ أَرْضًا. فَوَجَدَ هَدَدُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْ فِرْعَوْنَ جِدًّا،

وَزَوَّجَهُ أُخْتَ امْرَأَتِهِ، أُخْتَ تَحْفَنِيسَ الْمَلِكَةِ. فَوَلَدَتْ لَهُ أُخْتُ تَحْفَنِيسَ جَنُوبَثَ ابْنَهُ، وَفَطَمَتْهُ تَحْفَنِيسُ فِي وَسَطِ بَيْتِ فِرْعَوْنَ. وَكَانَ جَنُوبَثُ فِي بَيْتِ فِرْعَوْنَ بَيْنَ بَنِي فِرْعَوْنَ. فَسَمِعَ هَدَدُ فِي مِصْرَ بِأَنَّ دَاوُدَ قَدِ اضْطَجَعَ مَعَ آبَائِهِ، وَبِأَنَّ يُوآبَ رَئِيسَ الْجَيْشِ قَدْ مَاتَ. فَقَالَ هَدَدُ لِفِرْعَوْنَ: «أَطْلِقْنِي إِلَى أَرْضِي». فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ: «مَاذَا أَعْوَزَكَ عِنْدِي حَتَّى إِنَّكَ تَطْلُبُ الذَّهَابَ إِلَى أَرْضِكَ؟» فَقَالَ: «لاَ شَيْءَ، وَإِنَّمَا أَطْلِقْنِي» »[16]، وهكذا دفعت الأحداث السياسية بأحد أعضاء البيت الحاكم الأدومي وهو الأمير "هَدَدَ"، إلى اللجوء لمصر ومنحه ملكها حق اللجوء ولم تذكر التوراة اسم ملك مصر آنذاك[17].

ونظراً لعدم ورود اسم الملك المصري في نص التوراة فقد تباينت آراء الباحثين حول شخصه، فيرى "نيقولا جريمال" أن الفترة من نهاية حكم الملك "بسوسينس الأول" حتى منتصف حكم الملك "سيامون" تتطابق مع فترة توحيد نبي الله داود عليه السلام للعشائر الفلسطينية وتوطينها حول مملكة فلسطين وكذا حروبه مع الفلسطينيين، ومن ثم فإنه يحتمل أن ميقات لجوء الأمير "هَدَدَ" إلى مصر كان في تلك الأثناء[18]، بينما يرى "كينيث كيتشن" أن الأمير الأدومي وفد إلى مصر حوالي عام 991-990 ق.م أي أثناء حكم الملك "أمنمؤبي" (1033- 981 ق.م) ومن ثم فإن هذا الملك هو الذي منح الأمير الأدومي حق اللجوء وأحسن إليه وأنزله منزلاً كريماً[19] وهو تحديد أكثر دقة، ويستدل "كيتشن" في ذلك بعهد نبي الله سليمان عليه السلام والذي كان في الفترة من 970 ق.م حتى 930 ق.م[20]، ويميل الباحثين لرأي كيتشن وقبول فكرة أن لجوء الأمير "هَدَدَ" الأدومي إلى مصر كان إبان حكم الملك أمنمؤبي، والدليل على ذلك عودة الأمير ذاته إلى فلسطين بعدما علم بنبأ وفاة نبي الله داود عليه السلام.

وطبقاً لرواية التوراة فقد تزوج الأمير الأدومي بأخت الملكة، ولكن ذلك لا يدل بأي حال من الأحوال على أنه قد تزوج بأميرة لأنّ الأميرة إما أنْ تكون ابنة أو أخت الملك، علاوة على أنّ تقاليد المصريين القدماء ومنذ باكورة تاريخهم تمنع زواج الأميرات المصريات بحكام أجانب، ومن ثم فإن زواج الأمير الأدومي كان بسيدة ذات مكانة بالبلاط الملكي وليس بأميرة من دم ملكي، ويقترح "شولمان" أن الملك "سيامون" هو الذي زوج الأمير الأدومي بأخت الملكة[21]، ويؤيد الباحثين اقتراح شولمان فأياً ما كانت الآراء حول تفسير أمر هذا الزواج، فإنه يبدو أمراً عادياً في ضوء التعامل مع اللاجئ السياسي من حيث منحه أرضاً ومأوى وطعاماً وكذا عقد زيجة

بينه وبين البيت الحاكم في دولة اللجوء، لتدعيم العلاقات بين الجانبين. ويواصل "شولمان" أنه طبقاً لنص التوراة، فقد استأذن الأمير "هَدَدَ" ، ملك مصر في السماح له بالعودة لوطنه، ويرجح "شولمان" أن الملك المصري ربما فوجئ بمطلب الأمير الأدومي إذ لم يكن يرغب بالسماح للأمير الأدومي بالعودة لوطنه حينها، ربما لأن الوقت المناسب لذلك لم يكن قد حان بعد، ويبدو أن الملك كان يرغب في اختيار وقت مناسب لعودة الأمير لاستغلاله في إثارة المشاكل ضد نبي الله سليمان عليه السلام(22).

ووفقاً لما ورد في سفر الملوك الأول بشأن عودة الأمير "هَدَدَ" لوطنه فقد عاد وصار خصماً لدوداً للنبي سليمان عليه السلام: «أَقَامَ اللهُ لَهُ خَصْمًا آخَرَ: رَزُونَ بْنَ أَلِيدَاعَ، الَّذِي هَرَبَ مِنْ عِنْدِ سَيِّدِهِ هَدَدَ عَزَرَ مَلِكِ صُوبَةَ،فَجَمَعَ إِلَيْهِ رِجَالًا فَصَارَ رَئِيسَ غُزَاةٍ عِنْدَ قَتْلِ دَاوُدَ إِيَّاهُمْ، فَانْطَلَقُوا إِلَى دِمَشْقَ وَأَقَامُوا بِهَا وَمَلَكُوا فِي دِمَشْقَ.وَكَانَ خَصْمًا لإِسْرَائِيلَ كُلَّ أَيَّامِ سُلَيْمَانَ، مَعَ شَرِّ هَدَدَ. فَكَرِهَ إِسْرَائِيلَ، وَمَلَكَ عَلَى أَرَامَ»(23).

ومما هو جدير بالذكر أن التوراة لم تتناول صراع الأمير الأدومي"هَدَدَ" مع نبي الله سليمان عليه السلام بعد عودة "هَدَدَ" من مصر، ولكن هناك بعض الأدلة الأخرى التي تلقي بالضوء حول قصة ذلك الأمير، فقد أورد "شولمان" نص الترجمة السبعينية للتوراة والتي جاء فيها: «آثار الرب أعداءً ضد سليمان، حدد الأدومي وايزون آرام والآن "هَدَدَ" الآدومي وهو من نسل الأسرة المالكة في آدوم والتي أبيدت في المذبحة التي قام بها داود في آدوم، وقد فر حدد مع نفر من رجاله إلى مصر، كان وقتها طفلاً وعندما لجأ إلى مصر منحه الفرعون منزلاً وأمر له بمؤن وأصبح ذا مكانة لدى الفرعون حتى أنه زوجه من أخت زوجته، وقد ولدت له تحفنيس ابنا دعى جنويث، وشب جنويث بين أبناء الفرعون وحينما سمع "هَدَدَ" أن داود قد رقد مع آبائه. قال للفرعون أطلق سراحي لكي أعود لوطني فأجابه الفرعون "ماذا ينقصك عندي حتى تطلب الانصراف لوطنك قال لاشيء ولكن أطلقني. ولذلك رجع حدد لوطنه وسبب إزعاجاً لإسرائيل فقد صار خصماً وأصبح ملكاً على آدوم»(24).

وهناك رواية أخرى تتعلق بالأمير الأدومي، إذ ذكر المؤرخ "يوسفوس فلافيوس" بصدد ذلك أن الأمير الأدومي "هَدَدَ": "حينما سمع بوفاة داود ويؤاب، ذهب إلى الفرعون وسأله أن يسمح له بالعودة لوطنه، ولكن الفرعون لم يمنحه تصريحاً بالعودة في ذلك الوقت، وعندما بدأت

الأمور تسير نحو الأسوأ بالنسبة للنبي سليمان، هنا وافق الفرعون على عودته لوطنه، ولكن الأمير الأدومي "هَدَدَ" لم يستطع القيام بثورة ضد النبي سليمان لوجود حاميات عسكرية في وطنه، ولذلك ترك بلده مغادراً إلى سوريا وهناك تَعَرَّفَ على شخص يدعى رزون، كان يقوم بالسلب، وقد انضم تحت قيادة هذا الرجل وفرقته من رجاله اللصوص. وبذلك دخل الأمير الأدومي "هَدَدَ" موطن رزون واتخذ مكانه في هذا الجزء من سوريا ونجح في اجتياح المملكة الإسرائيلية محطماً وناهباً وكان سليمان ﷺ ما يزال على قيد الحياة، لقد كان مقدراً أن تعاني إسرائيل هذا الشر على أيدي هَدَدَ"[25].

ولفت "شولمان" انتباه الباحثين حول صمت النص العبري عما ورد ذكره في كل من الترجمة السبعينية للتوراة وتاريخ "يوسفيوس فلافيوس" بشأن نهاية الأمير "هَدَدَ" الآدومي إذ توقف النص العبري عند طلب "هَدَدَ" الآدومي من الفرعون بأن يسمح له بالعودة لوطنه، ورجح "شولمان" أن سبب صمت النص العبري حول نهاية الأمير "هَدَدَ" الآدومي بعد مطلبه العودة من الفرعون سيامون هو المصاهرة التي تمت بين البيتين إذ تزوج النبي سليمان ﷺ بابنة الفرعون سيامون، فكان هذا الزواج الأُسري مبرراً لأن يغفل النص العبري بقية تفاصيل قصة ذلك اللاجئ السياسي وما سببه من إزعاج للملك سليمان ومملكته[26].

وهكذا تلقي هذه القصة بالضوء على إحدى حالات اللجوء السياسي لمصر أثناء عصر الأسرة الحادية والعشرين، ومنها يتضح الدور المصري في احتواء هذا اللاجئ ودعمه ماديا ومعنوياً واختيار الوقت الملائم لعودته لوطنه بحيث يمكن الاستفادة من عودته بإثارة القلاقل في وجه المملكة الإسرائيلية، وذلك من منطلق إعادة تفعيل دور مصر في فلسطين مرة أخرى.

7. 2 لجوء يَرُبْعَامُ بْنُ نَبَاطَ خصم النبي سليمان ﷺ:

وأما اللاجئ الثاني فكان يَرُبْعَامُ بْنُ نَبَاطَ، أحد المناوئين لنبي الله سليمان ﷺ ، وتخبرنا التوراة بقصته كيف أنه هرب إلى مصر ومنحه الملك "شيشنق" (945- 924 ق.م) من ملوك الأسرة الثانية والعشرون حق اللجوء السياسي إذ ورد بالتوراة: «وَيَرُبْعَامُ بْنُ نَابَاطَ، أَفْرَايِمِيٌّ مِنْ صَرَدَةَ، عَبْدٌ لِسُلَيْمَانَ. وَاسْمُ أُمِّهِ صَرُوعَةُ، وَهِيَ امْرَأَةٌ أَرْمَلَةٌ، رَفَعَ يَدَهُ عَلَى الْمَلِكِ. وَهذَا هُوَ سَبَبُ رَفْعِهِ يَدَهُ عَلَى الْمَلِكِ: أَنَّ سُلَيْمَانَ بَنَى الْقَلْعَةَ وَسَدَّ شُقُوقَ مَدِينَةِ دَاوُدَ أَبِيهِ. وَكَانَ الرَّجُلُ يَرُبْعَامُ جَبَّارَ بَأْسٍ، فَلَمَّا رَأَى سُلَيْمَانُ الْغُلاَمَ أَنَّهُ عَامِلٌ شُغْلاً، أَقَامَهُ عَلَى كُلِّ أَعْمَالِ بَيْتِ يُوسُفَ. وَكَانَ

فِي ذلِكَ الزَّمَانِ لَمَّا خَرَجَ يَرُبْعَامُ مِنْ أُورُشَلِيمَ، أَنَّهُ لاَقَاهُ أَخِيَّا الشِّيلُونِيُّ النَّبِيُّ فِي الطَّرِيقِ وَهُوَ لاَبِسٌ رِدَاءً جَدِيدًا، وَهُمَا وَحْدَهُمَا فِي الْحَقْلِ. فَقَبَضَ أَخِيَّا عَلَى الرِّدَاءِ الْجَدِيدِ الَّذِي عَلَيْهِ وَمَزَّقَهُ اثْنَيْ عَشَرَةَ قِطْعَةً.وَقَالَ لِيَرُبْعَامَ: «خُذْ لِنَفْسِكَ عَشَرَ قِطَعٍ، لأَنَّهُ هكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ: هأَنَذَا أُمَزِّقُ الْمَمْلَكَةَ مِنْ يَدِ سُلَيْمَانَ وَأُعْطِيكَ عَشَرَةَ أَسْبَاطٍ.وَيَكُونُ لَهُ سِبْطٌ وَاحِدٌ مِنْ أَجْلِ عَبْدِي دَاوُدَ وَمِنْ أَجْلِ أُورُشَلِيمَ الْمَدِينَةِ الَّتِي اخْتَرْتُهَا مِنْ كُلِّ أَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ.لأَنَّهُمْ تَرَكُونِي وَسَجَدُوا لِعَشْتُورَتَ إِلهَةِ الصِّيدُونِيِّينَ، وَلِكَمُوشَ إِلهِ الْمُوآبِيِّينَ، وَلِمَلْكُومَ إِلهِ بَنِي عَمُّونَ، وَلَمْ يَسْلُكُوا فِي طُرُقِي لِيَعْمَلُوا الْمُسْتَقِيمَ فِي عَيْنَيَّ وَفَرَائِضِي وَأَحْكَامِي كَدَاوُدَ أَبِيهِ.وَلاَ آخُذُ كُلَّ الْمَمْلَكَةِ مِنْ يَدِهِ، بَلْ أُصَيِّرُهُ رَئِيسًا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِهِ لأَجْلِ دَاوُدَ عَبْدِي الَّذِي اخْتَرْتُهُ الَّذِي حَفِظَ وَصَايَايَ وَفَرَائِضِي.وَآخُذُ الْمَمْلَكَةَ مِنْ يَدِ ابْنِهِ وَأُعْطِيكَ إِيَّاهَا، أَيِ الأَسْبَاطَ الْعَشَرَةَ. وَأُعْطِي ابْنَهُ سِبْطًا وَاحِدًا، لِيَكُونَ سِرَاجٌ لِدَاوُدَ عَبْدِي كُلَّ الأَيَّامِ أَمَامِي فِي أُورُشَلِيمَ الْمَدِينَةِ الَّتِي اخْتَرْتُهَا لِنَفْسِي لأَضَعَ اسْمِي فِيهَا. وَآخُذُكَ فَتَمْلِكُ حَسَبَ كُلِّ مَا تَشْتَهِي نَفْسُكَ، وَتَكُونُ مَلِكًا عَلَى إِسْرَائِيلَ. فَإِذَا سَمِعْتَ لِكُلِّ مَا أُوصِيكَ بِهِ، وَسَلَكْتَ فِي طُرُقِي، وَفَعَلْتَ مَا هُوَ مُسْتَقِيمٌ فِي عَيْنَيَّ، وَحَفِظْتَ فَرَائِضِي وَوَصَايَايَ كَمَا فَعَلَ دَاوُدُ عَبْدِي، أَكُونُ مَعَكَ وَأَبْنِي لَكَ بَيْتًا آمِنًا كَمَا بَنَيْتُ لِدَاوُدَ، وَأُعْطِيكَ إِسْرَائِيلَ. وَأُذِلُّ نَسْلَ دَاوُدَ مِنْ أَجْلِ هذَا، وَلكِنْ لاَ كُلَّ الأَيَّامِ. وَطَلَبَ سُلَيْمَانُ قَتْلَ يَرُبْعَامَ، فَقَامَ يَرُبْعَامُ وَهَرَبَ إِلَى مِصْرَ إِلَى شِيشَقَ مَلِكِ مِصْرَ. وَكَانَ فِي مِصْرَ إِلَى وَفَاةِ سُلَيْمَانَ. وَبَقِيَّةُ أُمُورِ سُلَيْمَانَ وَكُلُّ مَا صَنَعَ وَحِكْمَتُهُ أَمَا هِيَ مَكْتُوبَةٌ فِي سِفْرِ أُمُورِ سُلَيْمَانَ؟ وَكَانَتِ الأَيَّامُ الَّتِي مَلَكَ فِيهَا سُلَيْمَانُ فِي أُورُشَلِيمَ عَلَى كُلِّ إِسْرَائِيلَ أَرْبَعِينَ سَنَةً. ثُمَّ اضْطَجَعَ سُلَيْمَانُ مَعَ آبَائِهِ وَدُفِنَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ أَبِيهِ، وَمَلَكَ رَحُبْعَامُ ابْنُهُ عِوَضًا عَنْهُ»[27].

وهكذا يؤكد النص السابق على انشقاق يربعام على نبي الله سليمان عليه السلام، وفراره إلى مصر ومنحه حق اللجوء من الملك "شيشنق الأول" الذي رحب به وتمتع يربعام بحماية الفرعون[28]. ووفقاً للنص العبري فإن يربعام ظل بمصر حتى وفاة نبي الله سليمان عليه السلام، ثم عاد لوطنه حينما غدت الأحوال ملائمة لعودته، وبعودته نال تأييد القبائل الشمالية وأصبح ملكاً[29] بعد اجتماع شكيم* الذي أسفر عن تقسيم المملكة الإسرائيلية[30] إذ ذكرت التوراة: «وَلَمَّا سَمِعَ جَمِيعُ إِسْرَائِيلَ بِأَنَّ يَرُبْعَامَ قَدْ رَجَعَ أَرْسَلُوا فَدَعَوْهُ إِلَى الْجَمَاعَةِ وَمَلَّكُوهُ عَلَى جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ. ولم يَتْبَعْ بَيْتَ دَاوُدَ إِلاَّ سِبْطُ يَهُوذَا وَحْدَهُ» [31].

إن القراءة السياسية لتلك الأحداث تؤكد على أن الفرعون قد أحسن اختيار توقيت عودة يَرُبْعَامَ إلى المملكة الإسرائيلية، حيث أصبحت الأجواء مهيأة لتحقيق أهدافه ضد المملكة العبرية عند وفاة الملك سليمان، ومن جهة أخرى فسرعان ما بدأ انفراط عقد المملكة الإسرائيلية بعد عودة يَرُبْعَامَ إذ انقسمت المملكة إلى جزأين اندلع بينهما الصراع وهذا ما كانت ترنوا إليه مصر لإضعاف هذه المملكة[32]. ولم ينتظر الفرعون "شيشنق" طويلاً بعد عودة يَرُبْعَامَ لوطنه إذ سرعان ما ظهر "شيشنق" في فلسطين وقام بحمله اجتاح فيها المدن الفلسطينية[33].

يتضح من سياسة مصر مع كلٍ من الأمير الأدومي "هَدَدَ"و"يَرُبْعَامَ"في منحهما حق اللجوء أنها أحسنت إدارة استغلال الأمر، واستطاعت بهاتين الورقتين التأثير على مجريات الأحداث بالمملكة العبرية، وأن إيوائها لهذين الاثنين كان بمثابة تدخل فعلي في شئون مملكة النبي داوود والنبي سليمان عليهما السلام، وبطريقة غير مباشرة جعلتهما كرهائن لاستخدامهما في تحسين أوضاعها الخارجية بالإقليم السوري، ويظهر ذلك جلياً حينما أطلقت لهما العنان وسمحت لكل منهما بالعودة لبلده حينما تسمح الأجواء السياسية بذلك[34].

7. 3 لجوء "حانو" حاكم ولاية غزة:

دفعت الأحداث السياسية وتسارعها في الإقليم السوري الكبير (ويشمل الكيانات السياسية الحالية: سوريا . لبنان . الأردن . فلسطين) بعد مرور الربع الأول من الألف الأول ق.م مصر إلى احتواء وتبني ظاهرة اللجوء السياسي لحكام ولايات الإقليم السوري الفارين من سياسة المد التوسعي الغاشم الذي تبناه حكام آشور في تلك الآونة، ولعل هذا التطلع لملوك آشور لمد سيطرتهم غرباً وإخضاع جميع ولايات الإقليم السوري الكبير يرجع إلى رغبتهم في تحقيق الأهداف التالية:

أ- إدراك ساسة الحكم الآشوري أن نجاح إمبراطوريتهم التي يسعون لتكوينها لن يتم إلا بالسيطرة على المناطق المتاخمة لحدودها الغربية وهي الإقليم السوري الكبير.

ب- غنى الإقليم السوري الكبير بالأخشاب النادرة والثروات المعدنية، علاوة على طول السواحل الممتدة على البحر المتوسط وتجارتها الغنية.

ج- يتميز الإقليم السوري الكبير بكونه المدخل إلى جنوب شرق آسيا الصغرى من الشمال، والمدخل إلى مصر من الجنوب[35].

وأمام التمدد الآشوري غرباً من أجل فرض نفوذه على هذه البلاد واستحواذه على مقدراتها الاقتصادية، كان التحرك المصري من أجل محاولة استعادة نفوذها في مناطق العمق الاستراتيجي لها، فنجحت في دعم حكام ولايات ومدن فلسطين في هذه المناطق من أجل الثورة ضد الكيان الآشوري، وكان لها ما سعت إليه فقامت الثورة بزعامة أميري عسقلون وغزة ضد الكيان الآشوري، واضطر على أثرها الملك تجلات بلاسر الثالث الآشوري (744 . 727 ق.م) إلى اجتياح مدن فلسطين، فقتل حاكم عسقلان وفر"حانو"حاكم غزة إلى مصر، وورد ذلك في حوليات الملك الآشوري تجلات بلاسر الثالث إذ ذكرت: "... مدينة هتاريكا، حتى جبل ساوا ... مدن جوبلا (جبايل)، سيميرا، أركا، زيمارا، ... مدن أسو، سيانو، ريا-رابا، ريا- سيسو... مدن البحر العلوي، جعلتهم تحت سيطرتي. وجعلت ستة من المسئولين كحُكّام عليها. مدينة راشبونا، التي تقع على شاطئ البحر العلوي ...ومدن ... نيت، جلعازة (؟)، أبيلاكا، والتي تقع على حدود بيت - هيومريا (بيت عمري، إسرائيل) ... الأرض الواسعة لنفتالي، في مجملها، جعلتهم داخل حدود آشور. والموظف التابع لي الذي جعلته عليها حاكما. لقد هرب حانونو (حانو) الغزاوي إلى مصر قبل أن اقتحم بجيشي مدينة غزة، لقد استوليت عليها، وعلى بضائعه وممتلكاته وآلهته التي حملتها. وأقمت لوحتي (؟) وصوري الملكية كرمز، أقمتها في منتصف قصره. وجعلتها كآلهة لأرضه التي أنشأتها لهم. وبخصوص مناحيم (؟)، فقد أرهقه الإرهاب، مثل طائر هرب وحده، وقد أرسل لي [طالباً للعفو]، حيث كان وأحضر لي ... الفضة، والملابس الصوفية الملونة، وملابس الكتان ...؟ عظيم ...وتسلمت (الجزية)"[36]، ومما لا شك فيه أن لجوء "حانو" إلى مصر كان سابقاً لعام 720 ق.م حيث موقعة رفح التي أُسر فيها "حانو"[37] أثناء حكم الملك "سرجون الثاني" (722- 705 ق.م)[38]. وبالتالي فقد ظل حانو في مصر في الفترة التي أعقبت حملة تجلات بلاسر الثالث على سورية وفلسطين وحتى عام 720 عندما وقعت موقعة رفح.

لقد كان حكام المدن الفلسطينية يسعون لتدعيم مراكزهم وتقوية علاقاتهم بجيرانهم ولم تكن قبلتهم آنذاك إلا نحو مصر، التي دفعتها مصالحها إلى التدخل لدعم ومساندة هؤلاء الحكام[39]، وهكذا كان لجوء "حانو" حاكم غزة إلى مصر، إذ قدمت له مصر دعماً عسكرياً تمثل في جيش تحت قيادة شخص دعي "سيبي تورتان"، فقد ورد في نصوص حوليات الملك الآشوري سرجون

الثاني أثناء عام حكمه الثاني ما يلي: "في السنة الثانية من حكمي، إليوبي[دي (؟)، من حماة]. . . قد جمع [جيشاً] كبيراً في مدينة قرقار، [ونسي] القَسَمْ [الذي أقسموا عليه. . .] [مدن أرباد ، سميرا]، دمشق (دي ماش قا) والسامرة [قد ثاروا ضدي] (.....) وهو (أي: حانو الغزاوي) قد عقد اتفاقاً معه (أي: الفرعون)، وأنه (أي: الفرعون) قد دعا سيباي التورتان لمساعدته (أي: حانو) وأنه (أي: سيباي) قد انطلق ضدي ليخوض معركة حاسمة. وإني قد ألحقت بهم الهزيمة (أي: هانو وسيباي) بناءً على أمر (نبوءة) (منحها لي) سيدي آشور، وكان سيباي مثل سيبا (؟) (أي: الراعي) الذي سُرِقَ قطيعه وفروا منه وحدهم واختفوا. (ومع ذلك فإني قد) أسرت هانو شخصياً وأحضرته (معي) في الأغلال لمدينتي آشور. وقد دمرت ربحو، وهدمت (جدرانها) وأحرقتها. وقدت السجناء وعددهم 9033 نسمة مع كامل ممتلكاتهم"[40].

ووفقاً للنص الآشوري فقد كانت نتائج معركة رفح عام 720 ق.م هزيمة تحالف حاكم غزة ومصر، وتراجع على أثرها قائد جند مصر، أما حاكم غزة فقد وقع أسيراً في أيدي الملك "سرجون الثاني"، وسقطت رفح في أيدي الآشوريين[41]، وقد تباينت آراء الباحثين حول شخص الملك المصري آنذاك وقائد جنده، فيرى كيتشن أن قائد الجند المذكور في النص الآشوري كان يعمل تحت إمرة الملك "أسركون الرابع"[42]، بينما يرى ريدفورد أنه كان قائد جند الملك "تف نخت"[43]، على حين يرى بروجر أن القائد هو "شبتكو" نفسه كقائد لجند الملك "بعنخي"[44].

وأياً كان قائد الجند أو مليكه، وعلى الرغم من فشل تلك المحاولة ضد الكيان الآشوري في الإقليم السوري، إلا أنها تنهض دليلاً على سعي الدولة المصرية لتأمين كيانها ضد تمدد النفوذ الأشوري في منطقة العمق الاستراتيجي للدولة المصرية في الإقليم السوري الكبير.

7. 4 لجوء " إياماني" حاكم أشدود:

تكشف النصوص الآشورية عن حالة أخرى من حالات اللجوء السياسي إلى مصر إذ ورد في حوليات الملك الآشوري "سرجون الثاني"، النص الآتي: "لقد ترك إياماني(حاكم) أشدود* زوجته وأطفاله، خشية من بأس جيشي، وهرب إلى حدود م[وصرو] التابعة لـ ملوحا* (أي: إثيوبيا) واختبأ هناك كـ لص. وعينت ضابط لي كحاكم على كامل بلده الكبير وسكانه الأثرياء، (وهكذا) وسَّعتُ (ثانية) أراضي آشور، ملك الآلهة. تملك الرعب الشديد ملك ملوحا من آشور ربي، ومع ذلك، فإن ملك ملوحا، قد أُلقي القبض عليه (أي: إياماني) وكبله بالأغلال في اليدين

والقدمين، وأرسله لي، إلى أشور. كما غزوت ونهبت مدن شينوهتو (و) السامرة، وكل إسرائيل (أي: "أرض عمري" بيت حو-وم-ري- يا). وقبضت مثل السمكة على اليونانيون (الآيونيون) الذين يعيشون (على الجزر) وسط البحر الغربي"[45].

وكان أن أرسل الملك سرجون الثاني جيشاً في عام 712 ق.م لتأديب مدينة أشدود الفلسطينية التي لم يحترم حاكمها سلطة الآشوريين، ولكن "إيامانى" حاكم تلك المدينة فر لاجئاً سياسياً إلى مصر التي نسبها الآشوريون إلى النوبة[46]، ووفقاً للنص الآشوري ظل إيامانى كاللص في كوش في بادئ الأمر ثم أُلقى القبض عليه وأُرسل إلى آشور، كما أن النص لم يذكر اسم الملك النوبي الذي رفض منح إيامانى حق اللجوء السياسي، وفي هذا الشأن يرى شبلينجر أن "إيامانى" حاكم أشدود هرب إلى حدود مصر كما ورد في النص الآشوري، أي أنه ذهب جنوباً إلى مصر العليا حتى النوبة، وقابل ملكها ولعله الملك "شبتكو" الذي رفض السماح له بدخول بلاده وسلمه للأشوريين[47]، إذ يبدو أن شبتكو قد رضخ لطلب الآشوريين بخصوص تسليم اللاجئ الفار، حاكم مدينة أشدود "إيامانى"[48].

ويبدو أن أمر حاكم أشدود كان على درجة كبيرة من الأهمية للدولة الآشورية، إذ عثر على نقش مسماري مطول مؤرخ بالعام 706 ق.م في منطقة "تانجي-فار" بالهضبة الإيرانية ذكرت بعض أسطره قصة لجوء حاكم أشدود إلى مصر إذ ورد:

سطر19: أنا (سرجون) لقد اقتحمت مدينة أشدود وقد خشى ملكها "إيامانى" من بأسي و...
فر إلى حاكم أرض ملوحاً وعاش (هناك) كـ لص.

سطر20: وقد سمع "شبتاكا" ملك ملوحا عن بأس آلهة آشور ونابو ومردوك الذين أظهرتهم فوق كل البلاد.

سطر21: وقد كُبل "إيامانى" بالأغلال وجعله يحضر كأسير في حضرتي[49].

يرى شبلينجر من واقع هذا النص ومثيله في رفض الملك "شبتاكا" منح حق اللجوء لـ "إيامانى"، ليس هذا فحسب بل ألقى القبض عليه وأرسله لآشور مكبلاً بالأغلال، تغيراً ملحوظاً في موقف مصر برفضها منح اللجوء السياسي لأحد المستجيرين بها، ولعل هذا أمراً ليس بمألوف في موقف مصر مع قضية اللجوء السياسي، مما يشير إلى التغيير الطارئ في سياسة العلاقات الدولية المصرية منذ بداية الأسرة الخامسة والعشرين[50]. ويفسر "كان" هذا الأمر على أنه تغيير

في أسلوب الحكم والحاكم، ذلك أنه في عام (712 ق.م) قامت ثورة "إيامابي" حاكم مدينة أشدود، وأمام تحرك قوات سرجون الثاني فر "إيامابي"إلى مصر لاجئاً وكان ذلك في عهد الملك "شباكا" (721- 707 ق.م) الذي منحه حق اللجوء السياسي، وظل كذلك حتى وفاة الملك "شباكا" عام (707 ق.م)، وبعد تولي خليفته "شبتاكا" (707- 690 ق.م) الحكم، غير سياسة الحكم النوبي مع آشور، ورغب إثبات حُسن النوايا فسلم "إيامابي"لآشور(51).

وحقيقة الأمر أن هذا الموقف الفردي من الملك "شبتاكا" في مسألة اللجوء لم يعن تخلي مصر عن قضية مساندة حكام الولايات الفلسطينية أثناء هذا العصر، بل على العكس فقد ظل دعمها قائماً دون تراخي أو تخاذل، ولعل خير دليل على ذلك مساندتها لـ " حَزَقِيَّا " ملك يهوذا(52).

كانت آشور على يقين بمدى فاعلية دور مصر في فلسطين وتأثيره القوي، لذلك أرسلت رَبْشَاقَى سفير الملك سَنْحَارِيبَ إلى "حَزَقِيَّا" ملك يهوذا، لعل حديثه معه يأتي بنتيجة لصالح آشور ويحول ولاءه إليها بدلاً من مصر ذات التأثير القوي، فورد في الكتاب المقدس: «وَكَانَ فِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ عَشَرَةَ لِلْمَلِكِ حَزَقِيَّا أَنَّ سَنْحَارِيبَ مَلِكَ أَشُّورَ صَعِدَ عَلَى كُلِّ مُدُنِ يَهُوذَا الْحَصِينَةِ وَأَخَذَهَا. وَأَرْسَلَ مَلِكُ أَشُّورَ رَبْشَاقَى مِنْ لاَخِيشَ إِلَى أُورُشَلِيمَ، إِلَى الْمَلِكِ حَزَقِيَّا بِجَيْشٍ عَظِيمٍ، فَوَقَفَ عِنْدَ قَنَاةِ الْبِرْكَةِ الْعُلْيَا فِي طَرِيقِ حَقْلِ الْقَصَّارِ. فَخَرَجَ إِلَيْهِ أَلِيَاقِيمُ بْنُ حِلْقِيَّا الَّذِي عَلَى الْبَيْتِ، وَشَبْنَةُ الْكَاتِبُ، وَيُوآحُ بْنُ آسَافَ الْمُسَجِّلُ. فَقَالَ لَهُمْ رَبْشَاقَى: قُولُوا لِحَزَقِيَّا: هكَذَا يَقُولُ الْمَلِكُ الْعَظِيمُ مَلِكُ أَشُّورَ: مَا هُوَ هذَا الاتِّكَالُ الَّذِي اتَّكَلْتَهُ؟ أَقُولُ إِنَّمَا كَلاَمُ الشَّفَتَيْنِ هُوَ مَشُورَةٌ وَبَأْسٌ لِلْحَرْبِ. وَالآنَ عَلَى مَنِ اتَّكَلْتَ حَتَّى عَصَيْتَ عَلَيَّ؟ إِنَّكَ قَدِ اتَّكَلْتَ عَلَى عُكَّازِ هذِهِ الْقَصَبَةِ الْمَرْضُوضَةِ، عَلَى مِصْرَ، الَّتِي إِذَا تَوَكَّأَ أَحَدٌ عَلَيْهَا دَخَلَتْ فِي كَفِّهِ وَثَقَبَتْهَا. هكَذَا فِرْعَوْنُ مَلِكُ مِصْرَ لِجَمِيعِ الْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْهِ»(53).

8. حالة اللجوء إلى مملكتا سلوقيا وبثينيا:

أذهلت الدولة القرطاجية العالم القديم بأسره ليس فقط بسبب ثروتها فحسب، ولكن أيضاً لقدرتها على الاستقرار وتحملها الكثير واجتيازها أشد الصعاب. ولذلك أثارت ثرواتها الحسد والخوف وتأجج معها العداء خاصة من الإغريق والرومان. وهكذا كتب شيشرون أن قرطاج ما كانت لتظل إمبراطورية لمدة ستمائة عام إلا بحكم رشيد يتحلى بالحكمة والبراعة، كما صنف

أرسطو دستورها مع دستور اسبرطة وكريت كواحدة من الولايات الثلاث الفعلية التي يتمثل فيها الحكم "المختلط" المثالي، وفي الواقع هو الدستور الوحيد غير اليوناني الذي شملته سلسلة طويلة من الدراسات الدستورية. كذلك نجحت قرطاج في القيام بالمد التوسعي في شمال إفريقيا وإسبانيا وجزر النصف الغربي للبحر المتوسط كساردينيا وصقلية، وقامت بعملية احتكار تجاري في المياه الغربية ودخلت في صراعات شديدة مع المدن اليونانية ثم إيطاليا الرومانية، وهو ما دفعها إلى تولي القيادة من أجل حماية وتوسيع تجارتها. ومما يذكر أنه بعد وفاة الإسكندر، غدت واحدة من القوى العظمى الخمس الكبرى* في منطقة البحر المتوسط، وتمخض عنه العداء الشديد مع روما فيما بعد(54).

حرصت روما على مسالمة الدولة القرطاجية بدءً من القرن السادس وحتى نهاية النصف الأول من القرن الثالث، وأبرمت معها عدد من المعاهدات بلغت الثلاثة، كانت الأولى عام 508 ق.م، والثانية 378 ق.م، والثالثة 348 ق.م، ولعل السبب الرئيس لهذه المعاهدات هو تصالح المصالح، وما من ريب أن الدولة الرومانية كانت تتحين الفرصة تلو الأخرى لتجعل من هذه المعاهدات متكأ لنفسها تثب منه على الدولة القرطاجية لتقويضها فيما بعد(55)، وهو ما نجحت في تحقيقه بعد ذلك بسلسلة من الحروب عرفت باسم الحروب البونية(56).

وعلى أية حال فقد شهد الربع الأخير من القرن الثالث ق.م تغيراً شديداً في توازن القوي في محيط البحر المتوسط شرقاً وغرباً، مما أدي إلى وجود حالة من الخلل لدول حوض البحر المتوسط تمثل في تقويض بعضها، وتمدد توسعي للبعض الآخر، وأياً كان الأمر فقد شهدت هذه الفترة أشهر حالة لجوء سياسي حينها ألا وهى لجوء هانيبال بن هملكار (247-183 ق.م) ألمع القادة العسكريين وأخطر أعداء روما، والذي عكف على إعادة بناء الدولة القرطاجية بعد هزيمتها في حربها الثانية مع روما 218-201 ق.م، وبعد جور شروط معاهدة الصلح القرطاجية الرومانية عام 201 ق.م(57)، ومن الملفت للنظر أن القائد هانيبال قام بحالتين من اللجوء السياسي، الأولى إلى المملكة السلوقية في الإقليم السوري، والثانية إلى مملكة بثينيا بآسيا الصغرى، وفي كليهما كان السبب والدافع واحداً.

8. 1. لجوء هانيبال بن هملكار إلى المملكة السلوقية:

تولى هانيبال رئاسة مجلس الحكام في قرطاج في الفترة 195/196 ق.م وحظى بتأييد الأغلبية، وركز جهوده على الشأن الداخلي بما يشمل من نهضة اقتصادية وإصلاحات ديمقراطية، ونجح في أن يعيد للبلاد ثرائها ورخائها من جديد، ولم تكن روما ترغب بذلك، إذ أرادت أن تكون قرطاج دائماً ضعيفة، وهو ما نجحت في تحقيقه في نهاية الحرب البونية الثانية، إذ حولت قرطاج من قوة عالمية إلى دولة صغيرة، وأصبحت روما تتمتع بالسيطرة على غرب البحر المتوسط بلا منافس(58).

غدا موقف هانيبال محفوفاً بالمخاطر بعدما اتجهت إليه أصابع الاتهام من الساسة القرطاجيين يُحّملونه المسئولية كاملة عما أُلحق بهم من دمار ومذلة في معاهدة الصلح 201 ق.م على الرغم مما قام به من إصلاحات مهمة بعد معركة زاما ومعاهدة الصلح مع روما(59). ولذلك كان الرومان بالمرصاد لقرطاج عامة وللقائد هانيبال خاصة بعدما تولى رئاسة مجلس الحكام، فدبروا له في سنة 195 ق.م مؤامرة للإيقاع به، فدفعوا أصحابهم في قرطاج للوشاية بهانيبال، وزعموا أن لديه اتصالات مع الملك أنطيوخوس الثالث في سوريا، فأرسلت روما بعثة دبلوماسية إلى قرطاج في صيف 195 ق.م للتحقق من ذلك، وفي حال ثبوت الوشاية سيتم القبض على هانيبال، وهو ما دفع بالقائد هانيبال بعدما أدرك المؤامرة إلى الفرار هارباً من قرطاج متجهاً إلى شرق البحر المتوسط حيث مدينة صور المدينة الأم لقرطاج، وما أن بلغها إلا ورحب به أهلها كثيراً وجعلوه واحداً من أعظم أبنائها، وبعد عدة أيام من ذلك عزم هانيبال على تقديم نفسه إلى ابن الملك أنطيوخوس الثالث في العاصمة إنطاكية طمعاً في حماية الدولة السلوقية له مع تقديم الدعم الكامل له لمحاربة عدوهم المشترك(60).

وصل هانيبال إلى العاصمة إنطاكية في صيف 195 ق.م(61) حيث تجمع الناس في الشوارع مرحبين بقدومه، واعتبروه هدية الآلهة إليهم، استقبله ابن الملك أنطيوخوس الثالث أحسن استقبال، وسط أنغام العازفين حتى أوصله إلى مقر سكنه(62)، ثم انطلق بعد ذلك لملاقاة الملك أنطيوخوس الثالث في مدينة إفسوس، وما أن بلغت روما أنباء لجوء هانيبال إلى أنطيوخوس الثالث إلا واضطربت أحوالها وشعرت بالخطر الجديد يقرع أبوابها، وأدركت أن هانيبال سيخطط لحملة جديدة على إيطاليا بجيش سلوقي، وهو ما دفع مجلس الشيوخ الروماني اتخاذ الإجراءات الوقائية لحماية ساحل جنوب إيطاليا(63)، وكان هدفها ليس محاولة كسب ثقة وتأييد ليس بلاد اليونان

فحسب بل العالم اليوناني أجمع، لذا قامت بسحب قواتها من اليونان عام 194 ق.م، وأعلنت لهم مبدأ الحرية وزوال الهيمنة المقدونية، وبذلك اعتقدت روما أنها ضيعت الفرصة المرتقبة على أنطيوخوس الثالث وهانيبال(64).

لم يكن ترحيب الملك أنطيوخوس الثالث بالقائد القرطاجي هانيبال – اللاجئ السياسي – في مدينة إفسوس حافلاً فحسب، بل جعله مستشاراً عسكرياً للمملكة السلوقية، وطلب منه بحكم منصبه الجديد تقديم تقرير عسكري عن قدرات كتائب الجيش السلوقي، فأوضح للملك عدم قدرتها على مواجهة كتائب الرومان ذات التدريب الجيد(65)، وفسر له أيضاً أن روما تخفي هدفاً استراتيجياً وراء انسحاب جيشها من اليونان(66)، ولذلك أوضح أنه من أجل تحقيق النصر على روما يجب إضعاف جيشها بفتح عدة جبهات للحرب في آن واحد، وتتلخص استراتيجيته العسكرية في احتلال جزء من إيطاليا وإقامة قاعدة للعمليات العسكرية هناك، هدفها إضعاف الرومان في الداخل والخارج. وقال له هانيبال فإني "لدي خبرة في إيطاليا"، ومع وجود 100 سفينة حربية و 000.10 مقاتل و 1000 فارس يمكنني شغل النقاط الإستراتيجية والكتابة إلى أصدقائي في قرطاج لتحفيز الناس على التمرد. إنهم مستاءون بالفعل من حالتهم، ولا يثقون في الرومان، وسوف يكونون مفعمين بالشجاعة والأمل إذا سمعوا أنني أُخرب إيطاليا مرة أخرى(67)، وفي الوقت نفسه يتحرك الملك أنطيوخوس الثالث بقواته إلى بلاد اليونان(68)، حقاً لم يكن هانيبال بالرجل العادي بل كان شخصية بطولية، وكان شديد الكره والبغض للرومان، حتى قيل أنه أقسم في صغره بأحد المعابد بالعداء الدائم لروما(69).

مما لا شك فيه أن هانيبال كان أعظم قادة عصره وأكثرهم جرأة، فمن بين قادة الممالك القائمة حينها*، لم يقو أحد على التهديد المباشر لروما وحصار مقر حكمها غير هانيبال، ولذلك أصبح هانيبال شبح الرعب لروما، ومن هنا يبدو أن الملك أنطيوخوس الثالث رحب بشدة بلجوء هانيبال إليه، ليكون ورقة رابحة يلعب بها ضد روما، وظن خاطئاً أن روما سترتجف كثيراً من لجوئه إليه، ومن ثم ستُجبر على الاعتراف بحقه الشرعي وتوسعاته الأخيرة في آسيا الصغرى، فأراد أنطيوخوس الثالث أن يلعب بورقة الحرب من دون أن يرغب فيها(70). ونظراً لمساعي أنطيوخوس من أجل تحقيق هدفه فقد رفض مقترح الاستراتيجية العسكرية لهانيبال، إذ لم يكن متعجلاً للدخول مع روما في مواجهة شاملة بعقر دارهم، وإنما رغب باستدراجهم إلى داخل أرضه

ليكتسب الشرعية في الدفاع ويُلحق بهم الهزيمة ثم يعقد معهم صلح يحتفظ بموجبه بما تحت يديه من أراضي في آسيا الصغرى(71).

يبدو أن روما كانت تخشى من عدوها القديم هانيبال خاصة بعد هروبه ولجوئه إلى المملكة السلوقية، وتخاف من دخوله في حرب ضدها بدعم سلوقي، لذلك وافق مجلس الشيوخ على إرسال وفد لمفاوضة أنطيوخوس الثالث والوصول معه إلى اتفاق نهائي، وانفرد أبيانوس وأوراسيوس بذكر وجود بوبليوس كورنيلوس سكيبيو Publius Cornelius Scipio ضمن الوفد الروماني، وذكر أبيانوس حوار مطول بين سكيبيو وهانيبال(72)، فيما يبدو كان للوفد الروماني هدفين، الأول مُعْلَنْ ويتلخص في: (1) تجديد التحالف القديم مع يومينيس الثاني ملك برجاموم، (2) التفاوض مع أنطيوخوس الثالث، (3) الاتصال بهانيبال من أجل بقائه على الحياد في مقابل احترام الرومان لحريته وضمان حياته. أما الثاني خفي وهو غرس بذور الشك في نفس الملك أنطيوخوس الثالث تجاه حليفه هانيبال بسبب اتصال أعضاء الوفد به(73).

بدأ الوفد الروماني جولته بزيارة مملكة برجاموم لتحديد موقفها من الأحداث الجارية في المنطقة عامة وآسيا الصغرى خاصة، فوجدوها تؤيد الحرب ضد أنطيوخوس ولا تؤيد المصالحة(74)، ثم توجه الوفد الروماني إلى إنطاكية للقاء أنطيوخوس الثالث الذي كان غائباً عن بلاطه، ذكر بعض الباحثين أنه كان يقود حملة تأديبية في تلال بيسيديان في آسيا الصغرى تاركاً ولي عهده آنذاك ابنه الكبير أنطيوخوس، الذي شارك أبيه اللقب الملكي لمدة 17 عاماً، وذكر آخرون أنه كان في فترة حداد بسبب وفاة ولي عهده أنطيوخوس بشكل مفاجئ في سوريا(75)، وعلى أية حال فشلت المفاوضات الودية ولم يعد هناك مجال إلا للحرب(76).

لم يُرد وفد المفاوضات الروماني ضياع رحلته هباءً، فسعى إلى تنفيذ مؤامرة روما الثانية الخفية ضد هانيبال وأنطيوخوس الثالث بتطبيق مبدأ "فَرِّقْ تَسُدْ" فدبروا اجتماعهم مع هانيبال في قلب بلاط أنطيوخوس بإفسوس(77)، وما من ريب في أن هدفهم الحقيقي إثارة الشكوك حول هانيبال، وعلى أية حال فقد استقبلهم هانيبال وبادلهم المودة والصداقة، وأكثر أعضاء الوفد من التردد على هانيبال ووعدوه بالأمان، وعلى الرغم من عدم ثقة هانيبال بكلامهم، إلا أنه وقع في الشرك الذي نصبوه له، فبعد عودة أنطيوخوس الثالث إلى مدينة إفسوس نقل له رجال بلاطه الأخبار كاملة، وأوغروا صدره بعدما أوضحوا له شكوكهم حول التواصل بين هانيبال والوفد

الروماني، وبفطنة وذكاء هانيبال تيقن من ذلك من واقع ردة فعل معاملة أنطيوخوس الثالث له، فلم يعد يستدعيه إلى اجتماعاته[78].

وجدت أحاديث رجال البلاط وبعض الحلفاء عن هانيبال في نفس أنطيوخوس الثالث مكاناً جنى ثمارها بعد ذلك، ليس هذا فحسب بل اقتنع أنطيوخوس الثالث أن هانيبال كان يرى في الحرب السلوقية الرومانية فرصة لتحقيق بعض المكاسب والعودة إلى قرطاجة[79]، ومن هنا أصبح موقف هانيبال مهزوزاً داخل البلاط السلوقي، وفي الوقت نفسه بلغت الأمور ذروتها بين أنطيوخوس الثالث والرومان، واقترح بعض أصحاب الملك عليه ضرورة استبعاد هانيبال من هذه الحملة، وعدم الاستماع إلى أي نصيحة أو مشورة يقدمها، وعدم إسناد أي منصب قيادي له في هذه الحملة[80]، في حين أيَّدَ الحكماء ونصحوا أنطيوخوس الثالث بضرورة الاعتماد على خبرة ومهارة هانيبال في هذه المعركة المقبلة مع روما، ومما لا شك فيه فقد أثَّرت الخلافات مع تضارب الآراء على تجهيز الحملة مما أدى إلى تأخيرها[81]، وبدأ ثواس الأيتولي يحث الملك أنطيوخوس الثالث على الاستعجال لدخول اليونان، وأن الجميع هناك بانتظار قدومه، كما طلب من الملك ضرورة تركيز القوات السلوقية على اليونان، وبذلك يكون قد خالف رأي هانيبال[82]، كما أبلغ الملك أن ذهاب الأخير إلى إفريقيا ما هو إلا ضربٌ من بعثرة القوى، وما هدفه من ذلك إلا مصلحته الشخصية، ومن هنا أصدر أنطيوخوس الثالث الأوامر بإلغاء فكرة هانيبال والاستعداد للتوجه إلى اليونان لحرب الرومان[83].

وعلى الرغم من ذلك فقد أراد القائد القرطاجي هانيبال بما يمتلك من نظرة بعيدة نُصح الملك أنطيوخوس الثالث بصفته مستشاراً عسكرياً له، إذ توقع في هذه الحرب من الرومان ضم الملك فيليب الخامس إلى جانبهم في حربهم ضد أنطيوخوس الثالث والأيتوليين، وعليه عرض على الملك وجوب محالفة فيليب الخامس وضمه إلى جانبه، وحذره من ألا يسبقه الرومان إلى ذلك[84]، إذ أنه في حال نجاحه في اكتسابه كحليف فإنه سوف يعيق تقدم القوات الرومانية عن طريق أبولونيا إلى اليونان والتي تمر غرب مقدونيا، لم يصغ أنطيوخوس الثالث لنصح مستشاره العسكري وسمح له أن يكون برفقته ولكن دون الإصغاء لجميع نصائحه[85].

دفع أنطيوخوس الثالث ثمناً غالياً في معركة ثيرموبلاي في ربيع 191 ق.م أفقده مكاسبه السريعة في اليونان، ولم تكن ثقته بحلفائه في محلها[86]، أعاد الملك أنطيوخوس ترتيب

أوراقه خاصة فيما يتعلق بحليفه هانيبال وأصبح متلهفاً لسماع نصائحه، بعد أن تجاهلها من قبل، فنصحه هانيبال من واقع تجربته الطويلة مع الرومان أن يتخذ الحيطة والحذر من الرومان، لأنهم من النوع الذي لا يترك خصمه حتى يهاجمه في داخل بلاده، ونصحه بضرورة الإسراع بعمل الاستعدادات اللازمة للدفاع عن عرشه[87].

فطن الملك أنطيوخوس الثالث للخطر الذي يحيط بإمبراطوريته، فأعاد ترتيب ودعم جيوشه في آسيا الصغرى براً وبحراً[88]، ثم سارع بإنشاء أسطول بحري جديد في سوريا وفينيقيا وليسيا Lisia – التي تقع عند مدخل بحر إيجه على الساحل الجنوبي الغربي لآسيا الصغرى – وجعله تحت قيادة هانيبال[89]، وأياً كان الأمر فإنه نتيجة لحُسن تنظيم جيوش روما وحلفائها خاصة بحراً، ونتيجة لاندفاع القوات البحرية السلوقية وفشلها في تحييد موقف جزر بحر إيجه، فقد قامت البحرية السلوقية بتحطيم أسطول جزيرة رودس[90]، وكان هانيبال حينها في فينيقيا يستعد للإبحار بأسطوله إلى بحر إيجة، وما أن غادر أسطوله ساحل فينيقيا إلا وتعرض لهجوم غاشم من أسطول رودس وتواجه الطرفان قرب بامفيليا، وفي المعركة أثبت أسطول رودس براعة فائقة بالقتال، وهُزِمَ هانيبال على الرغم من تفوقه بأعداد السفن، وبذلك انتقم أهل جزيرة رودس لهزيمتهم السابقة[91]، بعد أن حطموا 20 سفينة حربية وأسروا سفينة واحدة، ثم هرب هانيبال إلى مدينة إفسوس بما بقى معه من سفن[92].

وهكذا خسر السلوقيين بحر إيجه عام 190 ق.م، كما كشفت الأشهر التالية لانسحاب أنطيوخوس الثالث من اليونان عن ارتفاع منزلة القائد القرطاجي هانيبال، داخل البلاط السلوقي، ويبدو أن الملك أنطيوخوس الثالث أحس بخطئه بعدم الأخذ بنصائح هذا القائد، فأعتمد عليه في معاركه الأخير بشكل كبير وقيادي، ويصف أحد المؤرخين سبب فشل الملك أنطيوخوس الثالث في حربه مع الرومان إلى عدم استغلاله لخبرة هانيبال، الذي أمضى سنوات طويلة من حياته في محاربة الرومان وعدم انقياده للنصائح التي قدمها له مبكراً[93].

وهكذا نجحت روما في تحجيم قوى سلوقيا بعد حسم صراعها مع أنطيوخوس الثالث في آخر معاركها معه "موقعة مجنيزيا 189 ق.م"[94]، وبذلك بدأت روما في التمهيد لإزاحة المملكة السلوقية من مسرح الأحداث التاريخية[95]، وذكر الباحثون أن هانيبال لم يكن مشاركاً في هذه المعركة إذ كان حينها محاصراً في بامفيليا[96]، وانتهت المعركة بهزيمة منكرة لأنطيوخوس الثالث

ورضوخه الكامل لشروط معاهدة أفاميا سنة 188 ق.م، أما القائد القرطاجي هانيبال فكان مصيره ضمن أحد بنود معاهدة أفاميا[97]، إذ طلب لوكيوس كورنيليوس سكيبيو Lucius Cornelius Scipio من الوفد السلوقي تسليم هانيبال Hannibal وثواس الأيتولي Thoas وأعداء آخرين لروما كانوا لاجئين في البلاط السلوقي[98]، مع التعهد بعدم السماح لأي أحد باستغلال الأراضي السلوقية لضرب الرومان أو حلفائهم، ولا يحق لأنطيوخوس تقديم المساعدة لهم[99].

8. 2. لجوء هانيبال بن هملكار إلى مملكة بثينيا:

لم يرض الملك أنطيوخوس الثالث خيانة هانيبال وتسليمه إلى الرومان وفقاً لشروط المعاهدة على الرغم من أنه سعى لاستخدامه كوسيلة ضغط وبث الرعب في نفوس الرومان، وأوحى إلى هانيبال بالهروب، فاستجاب القائد القرطاجي مقدراً حُسن ضيافته واتجه خلسة إلى جزيرة كريت حتى يتدبر أمور لجوئه[100]، استقر هانيبال في كريت فترة طويلة حتى دبر أمور لجوئه ومنها انطلق إلى مملكة بيثينيا، حيث بروسياس الأول ملك مملكة بيثينيا، الذي رحب بالقائد القرطاجي هانيبال بعد هزيمة أنطيوخوس الثالث في مجنيزيا، وعينه الملك بروسياس الأول قائداً ومستشار عسكرياً، واستطاع هانيبال أن يحقق له نصراً عظيماً على أحد حلفاء روما ويكسبه أرضاً جديدة في آسيا الصغرى ومع الأسف الشديد كان لجوء هانيبال إلى بيثينيا قصير العمر[101]، هذا ولم تتأخر روما عن تصفية حلفاء الملك أنطيوخوس الثالث كملك كبدوكيا أرياراذيس، وقبائل الغال، الذين وضع الرومان معهم حداً لحملاتهم التخريبية على مدن آسيا الصغرى[102]، كما سمحوا لـ بروسياس ملك بيثينيا الاحتفاظ بأرضه كاملة على أن يقوم بتأييد روما[103]، ولقد كان الهدف الرئيس من عملاء روما القضاء التام على نشاط هانيبال المعادي لروما وحلفائها، فجعلوا روما تأمر بروسياس بتسليم هانيبال إليهم، وأصبح هانيبال محاصراً بلا وطن وبلا مأوى آمن يلجأ إليه وبسبب صعوبة الهرب هذه المرة فقد علم أنها النهاية[104].

8. 3. موت هانيبال:

وضعت روما بروسياس في مأزق لا يُحسد عليه فأمر حراسه بمراقبة هانيبال الذي أدرك المؤامرة وبدلاً من الاستسلام ورؤية الموت على يد عدوه، فقد فضل الانتحار في سنة 183 ق.م

بعمر ناهز 64 عاماً[105]، وهناك من ذكر أنه توفي في نهاية سنة 183 ق.م بعمر ناهز 67 عاماً[106]، وهي السنة نفسها التي مات فيها القائد الروماني سكيبو الإفريقي[107]. وما من شك في أن موت هانيبال – مثلما كانت حياته – تبوأ مكانة مهمة عند الكثيرين سواء مجلس الشيوخ الروماني أو كُتَّاب وشعراء القرنين الأول والثاني الميلادي أمثال: أبيانوس السكندري، وجوستينوس، وجوفينال، وبلوتارخوس، على سبيل المثال لا الحصر. ولقد تباينت الروايات وتشابهت أحيان أخرى، فذكر أبيانوس وأوراسيوس أن بوبليوس كورنيلوس سكيبيو Publius Cornelius Scipio كان ضمن الوفد الروماني وذكر أبيانوس حوار مطول بينه وبين هانيبال، الذي دعاه للضيافة، ولكن سكيبيو رحَّبَ إذا لم يكن هانيبال عند أنطيوخوس، وأوضح أنه يجب أن تكون هكذا العلاقات بين القادة العظام ففي نهاية الحروب يجب أن يتخلوا عن عداوتهم[108].

لم يكن هذا النبل الأخلاقي يتمتع به جميع قادة الرومان في هذه الآونة، إذ تزامن معهم القائد تيتوس كوينتشيوس فلامينينوس Titus Quinctius Flamininus، والذي كان شديد الكره لهانيبال، وأوضح بلوتارخوس أنه نتيجة لطموح تيتوس وشغفه بالمجد الذي لم يقدر على كبح جماحه أحد، كل ذلك كان وراء مؤامرة إشاعة المراسلات بين هانيبال وأنطيوخوس الثالث، والتي دفعت هانيبال للهروب سراً واللجوء إلى بلاط أنطيوخوس، وكذلك كان وراء جعل هانيبال ضمن شروط معاهدة أفاميا 188 ق.م، وضمن شروط السلام مع مملكة بثينيا، أي أنه السبب الرئيس وراء انتحار هانيبال[109].

وأياً كان الأمر فإن موت هانيبال كان في بلاط بيثينيا عام 183 ق.م بناءاً على شروط تيتوس لبروسياس، الذي فرض حراسة مشددة على هانيبال متردداً في تسليمه للرومان، وأورد بلوتارخوس وصفاً لمحاولات انتحار هانيبال منها ما ورد عند غيره من المؤرخين ومنها ما لم يرد إلا عنده فذكر: "وفقًا لذلك، وعندما سمع الآن عن أمر تيتوس، انطلق للفرار عبر السراديب، لكنه واجه حراس الملك، وبالتالي قرر أن ينهي حياته الخاصة. يذكر البعض إنه ربط عباءة حول عنقه، ثم أمر أحد الخدم أن يضع ركبته خلف ظهره ويسحب طرفاها نحوه بكل قوته إلى أن تم إحكامها، ومن ثم خنقه وقتله؛ ويذكر البعض أيضاً، إنه شرب دماء الثيران محاكياً ثيميستوكليس Themistocles وميداس Midas؛ لكن ليفي Livy ذكر أنه كان لديه سماً فأمر بخلطه، وأخذ الكأس مردداً الكلمات: "دعونا الآن نضع حدا للقلق الكبير للرومان، الذين اعتقدوا أن مهمة

الانتظار طويلة وصعبة للغاية وفاة رجل يبلغ من العمر أرذله"، وذكر بلوتارخوس أنه نجح في حرمان تيتوس نصر يحسد عليه، ولا أحد يستحقه من أجداده؛ وذكر أبيانوس وجوستينوس أن هانيبال تجرع السم وأوضح جوفينال أن السم كان مخبأ في خاتمه(110).

يذكر بلوتارخوس أن مجلس الشيوخ الروماني كان على علم بتحركات هانيبال منذ أن غادر قرطاج، وبمجرد نجاحهم في تقويض أنطيوخوس ولجوء هانيبال إلى بلاط بروسياس في بيثينيا، بدءوا في تجاهل تحركات هانيبال بسبب ضعفه وكبر سنه واعتبروا لجوئه إلى بيثينيا لجوء اليائسين، وعندما بلغهم موقف تيتوس المسبب في انتحار هانيبال استنكره أغلب مجلس الشيوخ، واعتبروه سلوك بغيض ومشين لأنه قتل هانيبال عندما كان مثل طائر يُسمح له أن يعيش حياة مروّعة وغير ضارة لأنه كبير جداً على الطيران وبدون ذيل، ولم تكن هناك ضرورة لفعل ذلك، لكنه فعل ذلك لكسب الشهرة(111).

ومما يلفت النظر ما ذكره أبيانوس وبلوتارخوس عن نبوءة وحي قديم ارتبطت بالقائد القرطاجي هانيبال ذكرت: "يجب أن تغطي أرض Libyssan رفات هانيبال". وذكرا على لسان هانيبال أنه اعتقد أن هذه النبوءة تشير إلى ليبيا وأنه سيدفن في قرطاج، واعتقد أيضاً أنه سينهي أيامه هناك؛ ولكنهما ذكرا أن في بيثينيا منطقة رملية على شاطئ البحر، وعلى حدودها قرية كبيرة تسمى ليبيسا Libyssa. وبالقرب من هذه القرية كان يعيش هانيبال، حيث يوجد بالقرب منها نهر ليبيزوس Libyssus(112).

9. نتائج البحث:

إن تناول حالات اللجوء السياسي وتأثيرها في العلاقات الدبلوماسية في الألف الأول ق.م في النصف الشرقي لحوض البحر المتوسط توضح – بما لا يدع مجالاً للشك – تاريخ هذه العلاقة وقدرتها المستمرة منذ الألف الثاني حتى نهاية الألف الأول ق.م وانعكاساتها على تحديد شكل العلاقات الدولية في ضوء المتغيرات السياسية. وما من شك في أن فترة الألف الأول ق.م لهي حجر الزاوية في تاريخ هذه العلاقات في تلك الفترة وما يليها في العصر التاريخي، إذ يُمكن القول أن هذه الفترة الزمنية محور البحث لهي فترة النضج الحضاري في العلاقات السياسية والتي تُعد ركيزة سياسة العلاقات الخارجية منذ مطلع العصر التاريخي وحتى الآن، وذلك نظراً لتنوع المعطيات السياسية والتوجهات الداخلية والخارجية لوحدتها السياسية، كما أنها يمكن أن تصوغ في

النهاية الصورة المتكاملة للتاريخ السياسي الحضاري لجميع بلدان المنطقة. وقد تبين من واقع رصد ظاهرة اللجوء السياسي ما يلي:

1- أنها تمثل أسلوباً سياسياً تبنته بعض الدول في مجال علاقاتها الخارجية، واتخذت منه وسيلة لتحقيق مكاسب سياسية ضد بعض القوى التي تهدد مصالحها بشكل أو بآخر، وكانت مصر ودولة خيتا في الألف الثاني قبل الميلاد من أهم الكيانات السياسية التي أخذت بمنهج اللجوء السياسي، إذ أن مصالح كل منهما كانت تدفعهما نحو تبني كافة السبل السياسية لتحقيق أهدافهما، والتي كان منها اللجوء السياسي.

2- أظهرت الدراسة مدى ارتباط ظاهرة اللجوء السياسي بالأحداث السياسية الراهنة داخليا وخارجياً، وانعكاسها على العلاقات الدولية قديماً.

3- اتضح من الدراسة عدم وجود حالات لجوء سياسي من مصر إلى غيرها من الدول، ولعل مرد ذلك يرجع إلى طبيعة السياسة المصرية الداخلية والتي تميزت بالاستقرار الأمر الذي أدى إلى تمتع الدولة بالحالة الأمنية المستقرة.

4- أكدت الدراسة على أن دور مصر في ظاهرة اللجوء السياسي اقتصر على دعمها وتأييدها للاجئين السياسيين، الذين كانوا يستجيرون بها، وتبذل الدولة أقصى ما في وسعها حتى تحقيق أهداف سياسية كانت تتطلع إليها.

5- أوضحت الدراسة أن مصر تحولت من المد التوسعي إلى المد الوقائي واتخذت من ظاهرة اللجوء السياسي الوافد إليها في الألف الأول ق.م خاصة من الإقليم السوري الكبير ذو العمق الاستراتيجي لها درعاً من أجل دعم وتفعيل دورها في المنطقة ودرء أخطار المد التوسعي لدولة بنو إسرائيل في فلسطين وكذلك خطر التمدد الآشوري المرتقب وزعزعة نفوذه في المنطقة، وعلى الرغم من ذلك لم تسلم من الغزو الآشوري الذي بلغ حتى عاصمتها الدينية طيبة في صعيد مصر.

6- أكد البحث على أن مصر كانت عبر تاريخها الطويل الملاذ والمأوى لكل باحث عن الاستقرار وداعم لكل راغب في استرداد ما سُلب منه.

7- أثبتت الدراسة أن الحكام المصريين الوطنيين فقط هم من فتحوا بلدهم لاستقبال أي لاجئ طالب للحماية والعون ولم يتخلوا عنهم مهما كانت العواقب، إذ رصدت الدراسة وفود

ثلاث حالات لجوء في عهد الحكام الوطنيين، والذين لم يسلكوا مسلكاً خالٍ من المروءة والنخوة ويسلمونهم إلى أعدائهم، بل حافظوا على أمنهم وأعادوهم وقتما كانت الأوضاع السياسية ملائمة لسلامتهم.

8- كما أكدت الدراسة أيضاً الدراسة أيضاً على زخم الشعور الوطني والغيرة على الدولة المصرية من ملوك الأسرات الثانية والعشرون والثالثة والعشرون والرابعة والعشرون، وأنهم من أصل كيان الدولة المصرية وليسوا بعناصر أجنبية كما يزعم البعض عبثاً.

9- أثبتت الدراسة وجود بعض العناصر ذات الحس غير الوطني من ملوك الأسرة الخامسة والعشرين ممن فرطوا في الوطن بمهانة وبكل من يلجأ إليه طالباً للأمان، وهو أمر استنكره كل باحث يشعر بالانتماء والوطنية لبلده أو لمجال دراسته على أقل تقدير.

10- كما أثبتت الدراسة أيضاً أن ملوك الدولة السلوقية عامة – والملك أنطيوخوس الثالث خاصة- لم يكونوا على قدر المسئولية في مناصبهم فلم يُقدّروا قيمة القادة المناضلين ضد الغزاة وسعوا وراء أطماعهم، وبالمثل ملوك ممالك آسيا الصغرى، إذ سعى جميعهم إلى التحالف مع الغزاة متخذين من الخيانة نبراساً لهم.

11- وأخيراً أكدت الدراسة على أن منطقة الشرق الأدنى القديم هي فجر الحضارة في العالم القديم، ومنبع للكثير من القيم الفكرية، وأُسس العلاقات الدولية، فكانت مركزاً للإشعاع الحضاري والسياسي والثقافي في العالم القديم.

اختصارات الدوريات وبعض المراجع العلمية

AEO = Gardiner (A.H.), Ancient Egyptian Onomastica, 1947 (Londres)

AJSL = The American Journal of Semitic Languages and Literatures

ANET = Pritchard, J. B., Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament, Princeton, New Jersey, Princeton University Press, 1969.

CAH = Cambridge Ancient History (Cambridge)

JAOS = Journal of the American Oriental Society

JAR = Journal of the American Research Center in Egypt,

CE Cambridge (Mass.) / Boston / Princeton / New York

JEA = The Journal of Egyptian Archaeology. London.

JNES = Journal of Near Eastern studies

LingAeg = Lingua Aegyptia. Journal of Egyptian Stud. Semin. für Ägyptol. und Koptol. (Göttingen).

Orientalia = Orientalia. Commentarii periodici pontificii instituti biblici / Commentarii trimestres a facultate studiorum orientis antiqui pontificii instituti biblici in lucem edidit in urbe. Nova Series, Roma

ZÄS = Zeitschrift für Ägyptische Sprache und Altertumskunde, Leipzig / Berlin

الهوامش

(1) Wainwright, G. A., "Some Sea-Peoples", *JEA* 47, 1961, pp. 71-90; Astour, M.C., "Some Recent Works on Ancient Syria and the Sea Peoples", *JAOS* 92 (1972), pp. 447-459; Cifola, B., "Ramses III and the Sea Peoples: A Structural Analysis of the Medinet Habu Inscriptions", Orientalia 57 (1988), pp. 275-306;

محمد بيومي مهران، مصر والشرق الأدنى القديم 8: بلاد الشام، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1990، ص ص 134-137.

(2) Satzinger, H., «How good was Tjeker-Bacl's Egyptian? Mockery at foreign diction in the Report of Wenamūn», *LingAeg* 5, (1997), pp. 171-176; Leclant, J., « Les relations entre l'Égypte et la Phénicie du voyage d'Ounamon à l'expédition d'Alexandre », The Role of the Phoenicians, [Beirut, The American University of Beirut, 1968], pp. 9-31; Breasted, J.H., «The report of Wenamon», *AJSL* 21, (1904-1905), pp. 100-109;

محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص ص137-143.

(3) Bosworth, A.B., "Alexander the Great Part 1: The events of the reign", In: *CAH*, 2nd Edit., Vol. VI: The Fourth Century B.C., Cambridge University Press, 5th printing, Cambridge 2006, pp. 791-845;

سيد أحمد علي الناصري، الإغريق وحضارتهم، دار النهضة العربية، الطبعة الثانية، القاهرة 1976، ص ص 446-573؛ فوزي مكاوي، تاريخ العالم الإغريقي وحضارته منذ أقدم العصور حتى 322 ق.م، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء 1980، ص ص 215-228؛ لطفي عبد الوهاب يحي، دراسات في العصر الهلنستي، دار النهضة العربية، بيروت 1988، ص ص 64-94؛ مصطفى العبادي، "ديمقراطية الأثينيين"، مجلة عالم الفكر . تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . دولة الكويت، المجلد 22، العدد الثاني 1993، ص ص 51-108.

(4) Cornell, T.J, "The conquest of Italy", In: *CAH*, 2nd Edit., Vol. VII, Part 2: The Rise of Rome to 220 B.C., Cambridge University Press, 5th printing, Cambridge 2006, pp. 351-419; Staveley, E.S., "Rome and Italy in the Early Third Century", In: *CAH*, 2nd Edit., Vol. VII, Part 2: The Rise of Rome to 220 B.C., Cambridge University Press, 5th printing, Cambridge 2006, pp. 420-455; حسين الشيخ، الرومان، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 2005، ص ص 37- 104

(5) محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 217.

(6) سفر التكوين: الإصحاح 25: 24-26.

(7) سفر التكوين: الإصحاح 25: 19-23

(8) محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل، الجزء الثاني، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1999، ص ص 643، 649.

(9) Ashlstrom, C.W., The History of ancient Palestine from the Paleolithic Period to Alexandre's conquest, Sheffield 1993, p. 487.

(10) Whitelam, K.W., "Israelite Kingship. The Royal Ideology and its opponents", In: The World of Ancient Israel, Edited by R.E. Clements, Cambridge 1991, p. 119.

(11) Johnson, P., A History of the Jews, London, 1987, P. 55.

(12) Kuhrt, A., The Ancient Near East, 3000 : 300 B.C, Vol. 2, London 1995, pp. 438, 451.

(13) عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم: مصر والعراق، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 2012، ص 380.

(14) سفر صموئيل ثان: 8: 1-15.

(15) عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص 380.

(16) سفر الملوك الأول: إصحاح 11: 14-22.

(17) Malamat, A., "Aspects of the foreign Policies of David and Soloman", *JNES*, 22, 1963, p. 11; Harris, J.R., The Legacy of Egypt, Oxford 1971, p. 260; Heaton, E. W., Solomon's New Men: The Emergence of Ancient Israel as a National State, Thames and Hudson, London 1974, p. 178.

(18) Grimal, N., A History of Ancient Egypt, USA 1994, p. 318.

(19) Kitchen, K.A., The Third intermediate Period, 1100 – 650 B.C, Oxford, 1973, p. 273.

(20) Kitchen, K.A., The World of Ancient Arabia Series Documentation for Ancient Arabia, Part I, Liverpool 1994, p. 110.

(21) Schulman, A.R., "The Curious of Hadd the Edomite", In: *Egyptological*

Studies in Hounr of Richard Parker, Edited by L.H. Lesko, London 1986, p. 129.

(22) *Ibid*, p. 130.

(23) سفر الملوك الأول، إصحاح 11: 23-25.

(24) Schulman, A.R., *op.cit*, p. 131.

(25) *Ibid*, p. 130.

(26) *Ibid*, p. 133.

(27) سفر الملوك الأول، إصحاح 11: 26-40.

(28) Redford, Donald B., Egypt, Canaan, and Israel, Princeton University Press, Princeton 1992, P. 315.

(29) Johnson, P., *op.cit*, pp. 64-65; Cohen- Sherbok, D., Atlas of Jewish History, London, 1994, p. 21.

* مدينة تقع على بعد 7.2 كم شمال غرب السامرة، وعلى بعد 37.2 كم شمال أورشليم، انظر: محمد بيومي مهران، بلاد الشام، ص 350.

(30) Geoffrey, D., "Rehaboams advisers at Shehem and Political Institutions in Israel and Sumer", *JNES*, 25, 1966, pp. 275 – 276; محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص ص 343-357

(31) سفر الملوك الأول، إصحاح 12: 20-21.

(32) محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص ص 343-357.

(33) Wilson, J.A., " The Campaign of Sheshonk I", *ANET*, Princeton-New Jersey 1969, p. 263

(34) Schulman, A.R., *op.cit*, p. 134.

(35) محمد بيومي مهران، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، مصر، الكتاب الثاني، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1983، ص 255.

(36) Luckenbill, D., Ancient Records of Assyria and Babylonia, vol. I, Chicago 1926, § 815, pp. 292-293; Leo-oppenheim, A., "Babylonia and Assyrian Historical Texts", *ANET*, Princeton - New Jersey 1969, pp. 284-285.

(37) Borger, R., "Das Ende des ägyptischen Feldherrn Sib'e", *JNES* 19 (1960), p. 49.

(38) Eisele, P., Babylon, München 1980, p. 362.

(39) Johnson, P. , *op.cit*, p. 73.

(40) Luckenbill, D., Ancient Records of Assyria and Babylonia, vol. II,

Chicago 1927, § 55, P. 26; Leo-oppenheim, A., *op.cit*, pp. 284-285.

(41) Gad, C.J., Inscribed prisms of Sargon II from Nimurd", *Iraq*, 16, 1954, pp. 179-180; Kitchen, K.A., The World of Ancient Arabia Series Documentation for Ancient Arabia, Part I, Liverpool 1994, pp. 375-376.

(42) Kitchen, K.A. , *op.cit*, pp. 155, 373 no. 374.

(43) Redford, Donald B., *op.cit*, p. 346 ff.

(44) Borger, R., *op.cit*, p. 53.

* أشدود إحدى الولايات الفلسطينية كان يطلق عليها في النصوص المصرية القديمة اسم "أسدد"، انظر: *AEO* I, 263, p. 191 ، وتقع أشدود في منتصف المسافة بين غزة ويافا على بعد 18 ميلاً إلى الشمال الشرقي من غزة، انظر: قاموس الكتاب المقدس، بيروت 1981، ص 77.

* ملوحا: أطلق اسم ملوحا في النصوص الآشورية على عدة مواضع منها النوبة، انظر: Kitchen, K.A. , *op.cit*, p. 153 .

(45) Luckenbill, D., Ancient Records of Assyria and Babylonia, vol. I, Chicago 1926, §§ 79-80, pp. 40-41; Leo-oppenheim, A., *op.cit*, pp. 285-286.

(46) Kitchen, K.A., The Third intermediate Period, 1100 – 650 B.C, p. 380.

(47) Spalinger, A., "The Year 712 B.C. and its Implications for Egyptian History", *JARCE* 10 (1973), p. 97.

(48) Kitchen, K.A., *op.cit*, p. 155.

(49) Kahn, Dan'el, "The Inscription of Sargon II at Tang-I Var and the chronology of Dynasty 25", *Orientalia*, 70, Fasc. 1, 2001, pp. 1-2.

(50) Spalinger, A., *op.cit*, p. 97.

(51) Kahn, Dan'el, *op.cit*, p. 13.

(52) Kuhrt, A., *op.cit*, p. 499.

(53) سفر أشعياء، 36: 1-6.

* القوى الكبرى الخمس هم: (1) المملكة السلوقية (2) المملكة البطلمية (3) المملكة المقدونية (4) الدولة الرومانية (5) الدولة القرطاجية.

(54) Scullard, H. H., "Carthage and Rome: I- Carthaginian public and private life", In: *CAH,* 2nd Edit., Vol. VII, Part 2: The Rise of Rome to 220 B.C., Cambridge University Press, 5th printing, Cambridge 2006, pp. 486-517.

(55) Idem, "Carthage and Rome: II- The Romano-Carthaginian treaties", In: *CAH,* 2nd Edit., Vol. VII, Part 2: The Rise of Rome to 220 B.C., Cambridge University Press, 5th printing, Cambridge 2006, pp. 517-537.

(56) Idem, "Carthage and Rome: III- The First Punic War", In: *CAH*, 2nd Edit., Vol. VII, Part 2: The Rise of Rome to 220 B.C., Cambridge University Press, 5th printing, Cambridge 2006, pp. 537-572.

(57) Briscoe, J., "The Second Punic War", In: *CAH*, 2nd Edit., Vol. VIII: Rome and the Mediterranean to 133 B.C., Cambridge University Press, 7th printing, Cambridge 2006, pp. 44-80

(58) Harris, V., "Roman expansion in the west: IV- Rome and Carthage", In: *CAH*, 2nd Edit., Vol. VIII: Rome and the Mediterranean to 133 B.C., Cambridge University Press, 7th printing, Cambridge 2006, p. 143; Morley, N., The Roman Empire: Roots of Imperialism, Pluto Press, New York 2010, p. 16; أمين سلامة، التاريخ الروماني، دار الفكر العربي، القاهرة 1959، ص 240

(59) Mommsen, Th., The History of Rome, Translated by: William P. Dickson, D. D, Vol. II, 3rd book, Ch. VII, Charles Scribner & Company 654 Broadway, New York 1870, p. 238;

رشيد الناضوري، المغرب الكبير: (1) العصور القديمة أُسسها التاريخية الحضارية والسياسية، الدار القومية للطباعة والنشر، الإسكندرية 1966، ص ص 274-275.

(60) Plutaech's Lives, 1959, Ch. XX (2), pp. 378-379; The History of Justin, 1688, Book 31, Chap. I, pp. 229-237, Chap. II, pp. 237-242; The History of the World, 1746, Book 31, Chap. I, pp. 233-234, Chap. II, pp. 234-235; Appian's Roman History, Book XI, Ch. I (4); Mommsen, Th., *op.cit*, p. 239; Bevan, E.R. ,The House of Seleucus, Vol. 2, Edward Arnold: publisher to the India office, London 1902, p.53; Cary, M., A History of Rome down to the reign of Constantine, 2nd edit., Macmillan and Co. Ltd., London 1967, p. 214; Harris, V., *op.cit*, pp. 143-144;

هشام بدر الدين الصفدي، تاريخ الرومان في العصور الملكية الجمهورية: الامبراطورية حتى عهد الامبراطور قسطنطين، دار الفكر الحديث، الطبعة الأولى، بيروت 1967، ص 176.

(61) Bevan, E.R. , *op.cit*, p. 53; جلانفيل داوني، أنطاكية القديمة، ترجمة: إبراهيم نصحي، دار نهضة مصر، القاهرة 1967

(62) Lamb, H., Hannibal: one man against Rome, Doubleday, New York 1958, p. 133.

(63) Pavli Orosii, 1561, Libri Septem, Caput XX 13-14; Cary, M., *op.cit*, p. 214.

(64) Bevan, E.R., *op.cit*, p.55; Rostovtzeff, M., A History of the Ancient World, Translated by: Duff, J.D., 2nd edit. , Vol. 2, The Clarendon press, Oxford 1938, p. 37; Starr, G., A History of the Ancient World, 2nd edit., Oxford university press, Oxford 1965, pp. 277-278.

(65) أمين سلامة، المرجع السابق، ص 240.

(66) مفيد رائف العابد، سوريا في عصر السلوقيين من الإسكندر إلى بومبيوس 333-64 ق.م، دار الشمال، دمشق 1993، ص 113.

(67) Appian's Roman History, Book XI, Ch. II (7); Mommsen, Th., Vol. II, 3rd book, Ch. IX, 1870, pp. 305-306.

(68) Holleaux, M., "Rome and Antiochus", In: *CAH* Vol. VIII: Rome and the Mediterranean 218-133 B.C., Ch. VI, Cambridge University Press, Cambridge 1930, p. 202; Sykes, P., A History of Persia, Vol. I, 3rd Edit., Macmillan and Co. Ltd., London 1951, p.318;

إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان من أقدم العصور حتى عام 133 ق.م، ج1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 2004، ص 252.

(69) بارو، ر.هـ.، الرومان، ترجمة: عبد الرازق يسري، مراجعة: سهير القلماوي، دار النهضة المصرية، القاهرة 1968، ص 31.

* (1) المملكة السلوقية (2) المملكة البطلمية (3) المملكة المقدونية (4) الامبراطورية القرطاجية (5) ممالك آسيا الصغرى.

(70) مفيد رائف العابد، المرجع السابق، ص 113.

(71) سيد أحمد علي الناصري، الشرق الأدنى في العصر الهلنيستي، دار النهضة العربية، القاهرة 2001، ص 242.

(72) Appian's Roman History, Book XI, Chap. II (10); Pavli Orosii, 1561, Libri Septem, Caput XX 18-19; Holleaux, M., *op.cit*, p. 201; Bevan, E.R., *op.cit*, p.59;

أمين سلامة، المرجع السابق، ص ص 241-242.

(73) Pavli Orosii, 1561, Libri Septem, Caput XX 18-19; مفيد رائف العابد، المرجع السابق، ص 113

(74) Holleaux, M., *op.cit*, pp. 200-201.

(75) Bevan, E. R., *op.cit*, pp. 61-62; أمين سلامة، المرجع السابق، ص 241

(76) Holleaux, M., *op.cit*, p.201; Cary, M., *op.cit*, p.215.

(77) Appian's Roman History, Book XI, Ch. II (9-11); Bevan, E. R., *op.cit*, pp. 61-62.

(78) يوسف الدبس، تاريخ سوريا الديني والدنيوي، ج 3، دار نظير عبود، بيروت 1903، ص 96؛ أمين سلامة، المرجع السابق، ص 241.

(79) Bevan, E. R., *op.cit*, p. 64.

(80) أمين سلامة، المرجع السابق، ص 242.

(81) مفيد رائف العابد، المرجع السابق، ص 115.

(82) Bevan, E. R., *op.cit*, p. 68.

(83) مفيد رائف العابد، المرجع السابق، ص 115.

(84) Appian's Roman History, Book XI, Ch. III (13-14); أمين سلامة، المرجع السابق، ص 241

(85) Bevan, E. R., *op.cit*, p. 77.

(86) Cary, M., *op.cit*, p.195; سيد أحمد علي الناصري، الشرق الأدنى في العصر الهلنيستي، ص 244؛

مفيد رائف العابد، المرجع السابق، ص 114.

(87) Sykes, P., *op.cit*, p.319.

(88) Bevan, E. R., *op.cit*, p. 74; Cary, M., *op.cit*, p.209.

(89) Mommsen, Th., *op.cit*, pp. 306-307; Cary, M., A History of the Greek World from 323-146 B.C, Methuen and Co. Ltd., London 1965, p. 101.

(90) Cary, M., *op.cit*, p. 216.

(91) Mommsen, Th., *op.cit*, p. 315.

(92) Holleaux, M., *op.cit*, p.221.

(93) Rawlinson, G.M.A, A Manual of Ancient History: From the Earliest Times to the Fall of the Western Empire, Comprising the History of Chaldea, Assyria, Media, Babylonia, Lydia, Phoenicia, Syria, Judea, Egypt, Carthage, Persia, Greece, Macedonia, Rome, and Parthia, The Clarendon press, Oxford 1869, p. 188.

(94) سيد أحمد علي الناصري، الشرق الأدنى في العصر الهلنيستي، ص 244.

(95) Mommsen, Th., *op.cit*, pp. 320-325; Holleaux, M., *op.cit*, p.219; Sykes, P., *op.cit*, pp.320-321; Cary, M., *op.cit*, p. 216; Sanford, E.M., Mediterranean World in Ancient Times, The Ronald Press Co., New York 1951, p.355; Tarn, W. & Griffith, G.T., Hellenistic Civilization, Edward Arnold publishers Ltd., London 1974, p. 28.

(96) Lamb, H., *op.cit*, p. 248; يوسف الدبس، المرجع السابق، ص 147

(97) Sykes, P., *op.cit*, p.321.

(98) Mommsen, Th., *op.cit*, pp. 320-325; Holleaux, M., *op.cit*, pp. 219 – 226; هشام بدر الدين الصفدي، المرجع السابق، ص 182؛ إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص 253.

(99) Kagan, D., Problems in Ancient History "The Roman World", Vol. 2, Colliery Macmillan publishers, London 1975, p. 137.

(100) Sykes, P., *op.cit*, p.321.

(101) The History of the World Translated from the Latin of Justin: With

Some Necessary Remarks By Way of Notes; and a Prefatory Discourse, Concerning the Advantages That Ought Chiefly to be Had in View, in Reading This or Any Ancient Historian, By: Turnbull, G., Printed for S. Birt and B. Dodd, London 1746, Book 32, Chap. IV, pp. 246-247; Austin, M.M., The Hellenistic World from Alexander to the Roman Conquest, Cambridge university press, London1981, p. 267; أمين سلامة، المرجع السابق، ص 243

(102) Cary, M., *op.cit*, p. 218.

(103) Mommsen, Th., *op.cit*, pp. 333-334.

(104) Store, S.J., Bithynia: History and Administration to the time of Pliny the Younger, A thesis of the degree's Master of Arts presented to the Faculty of Graduate Studies and Research in University of Alberta, Edmonton, Alberta 1998, pp. 16-17.

(105) Austin, M.M., *op.cit*, p. 267.

(106) Mommsen, Th., *op.cit*, p. 334.

(107) Pavli Orosii, 1561, Libri Septem, Caput XX 28-29.

(108) Appian's Roman History, Book XI, Chap. II (9-11); Pavli Orosii, 1561, Libri Septem, Caput XX 18-19.

(109) The History of Justin, 1688, Book 32, p. 242; The History of the World Translated from the Latin of Justin, 1746, Book XXXII, Chap. IV, p. 247; Plutaech's Lives, 1959, Ch. XX, pp. 378-381.

(110) Appian's Roman History, Book XI, Ch. II (10-11); The History of Justin, 1688, Book 32, p. 242; The History of the World Translated from the Latin of Justin, 1746, Book XXXII, Chap. IV, p. 247; Plutaech's Lives, 1959, Ch. XX, pp. 378-381; Madan, M., A new and literal translation of Juvenal and Persius; with copious explanatory notes, Vol. I, Satira X (147-167) , Dublin 1820, pp. 20-22; Hermanni, C.F., D. Iunii Iuvenalis Satirarum libri quinque : accedit Sulpiciae Satira, In aedibus B.G. Teubneri, Lipsiae 1914, Satira X, 147-167, pp. 68-69.

(111) Plutaech's Lives, 1959, Ch. XX-XXI, pp. 378-383.

(112) Appian's Roman History, Book XI, Ch. II (10-11); Plutaech's Lives, 1959, Ch. XX, pp. 378-381.